بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الخليل
كلية الدراسات العليا
برنامج اللغة العربية



السّخرية في الشعر في العصر المملوكي الأول
(648-784 هـ)

إعداد:
نيفين محمد شاكر عمرو

إشراف :
د.علي عمرو

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلب نيل درجة الماجستير في اللغة العربية
العام الجامعي 2008-2009

نوقشت هــذه الرســالة يوم الأربعــاء، بتاريخ : 2009/6/3م.
الموافق 10/ جمادى الآخرة/ 1430هـ، وأُجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:		التوقيع
1- د. علي عمرو	مشرفا ورئيسا	
2- د. مشهور حبازي	ممتحنا خارجيا	
3- د. حسام التميمي	ممتحنا داخليا	

2009/6/1

الإهداء :

إلى من تَنبْض قلبهما بالإحساس

إلى من ربياني فصيرت بأخلاقي كالماس

إلى أعز الناس ...

أمي وأبي ...

إلى من أنار لي كل طريق

وكان لي خير صديق

زوجي العزيز

وإلى صغيرتي .. زينب وسارة

أهدي هذا العمل المتواضع شكراً وتقديراً

نيفين عمرو

شكر وتقدير :

أتقدم بجزيل الشكر وكامل العرفان إلى المشرف على هذه الرّسالة الدكتور علي عمرو ، الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه الجمّة .

كما أشكر كل من ساعدني على إتمام عملي .

فهرس المحتويات :

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الذي سخّر لنا سُبل الهداية والعلم ، أحمده حمداً كثيراً كما ينبغي لجلالِ وجهه وعظيم سلطانه ، وأصلي وأسلم على حبيبه المصطفى محمد خير البريّة أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين ، وبعد :

امتلأت المكتبات بنتاج العلماء والأدباء في العصر المملوكي الأول ، فكان صفحةً من صفحات تاريخنا العربي التليد ، وأدبنا العتيد الذي لا يستطيع من يقرأه إنكار ما فيه من صونٍ لأمجادِ أمتنا وحفاظٍ على تراثنا الذي نعتزُّ ونفتخر به .

ولقد كان الأدب في هذه الحقبة وسيطاً بين التقليد والتجديد ، فلا يمكن التغاضي عما في أدب هذه الفترة من إبداع ، بالرّغم من ابتعاده أحياناً عن القوة والجزالة التي كانت من قبلُ. ولعلَّ أجملَ ما نقع عليه في سمات هذا الأدب البساطة المتناهية الممزوجة بالواقعية المتناهية أيضاً .

كل ذلك كان حافِزاً لاختيار هذا العصر الأدبي مجالاً للدراسة ، أما موضوع السُّخرية – فما أحوجنا إلى اتباعه في عصرنا الحالي – حيث تختلف العصور والحال واحدة تقريباً .. فالسّخرية تجسّد المعاناة والألم والنقد الاجتماعي والسياسي بلسانٍ هَزلي فكه ، فتجمع بين الجد والهزل .. وتترك في النفوس انطباعاً قوياً ، وتؤثر في القلوب تأثيراً عميقاً ، حتى أنها في تأثيرها أشد من الهجاء البحت أحياناً .. كل ذلك كان له تأثير في اختياري لهذا الموضوع .

وقد واجهت في عملي مجموعة من الصعوبات ، منها ما هو متعّلق بجمع المادة ، حيث إنّ بعض شعراء هذه الحقبة ليس لهم دواوين تجمع أشعارهم فهي متناثرة في مصادر مطبوعة وأُخرى مخطوطة . ومن الصعوبات ما هو متعلق بأوضاعٍ خاصةٍ منعتني من السّفر والحصول على مصادر أكثر للدراسة .

أما فيما يتعلّق بالمنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة ، فكان المنهج التكاملي ، حيث اقتضت الحاجة في الدراسة إلى الجمع بين أكثر من منهج ، فكان المنهج التاريخي للتأريخ للشعراء ولبعض الحوادث المتعلقة بأشعارهم ، والمنهج الوصفي التحليلي في تحليل النصوص وبيان خصائصها وأغراضها ، وكان المنهج النفسي الذي فيه عَرَضت لنفسيات الشعراء وحالاتهم الانفعالية والاجتماعية التي دفعتهم لنظم الشعر في موضوع السُّخرية .

أما فيما يتعلق بهيكلِ البحث ، فقد ارتأيتُ تقسيمه إلى تمهيدٍ وستة فصول .

أما التّمهيد فقد تحدثتُ فيه عن مفهوم السخرية وعلاقتها بالمجتمع وأنواعها والأساليب المتبعة فيها وأسباب اللجوء إليها .

وأما الفصل الأول فكان بعنوان السخرية من ملامح الإنسان الخارجية المتعلقة بأعضاءِ الجسم واللحية والهيئة العامة .

وأما الفصل الثاني فالسخرية من الجوانب المعنوية في ذات الإنسان وحياته ، حيث السّخرية من ضيق الحال والفقر وكذلك البخل ، والسخرية من الغباء والثقل والسخرية من الأنساب والسخرية من التناقض في حياة الشخص ، وأخيراً السخرية من عادات اجتماعية سيئة.

وأما الفصل الثالث فكان في السخرية من فئات اجتماعية مختلفة حيث لم تسلم فئة تقريباً من سخرية الشعراء فقد سخروا من المرأة ، وسخروا من الحرفيين وحرفهم ، ومن الأدباء وأدبهم، ومن أهل العلم والفضائل وجعلوا نصيباً من السخرية للمغنين والمغنيات ، وحتى الخدم الذين لا يملكون من أمرهم شيئاً لم يسلموا من سخرية الشعراء وسخر الشعراء من مواقف متعددة أدرجتها تحت عنوانٍ واحد .

أما الفصل الرابع فكان في السُّخرية السِّياسية في الشّعر ، وقسمته إلى قسمين الأول السخرية من الملوك والأمراء ، والثاني : السخرية من موظفي الدولة .

أما الفصل الخامس فسخرية دينية تتمثل في السُّخرية من المتصوفة والتطاولِ على الشريعة والسخرية من أهل الذّمة من يهودٍ ونصارى .

وأخيراً ، الفصل السادس ، ويتمثل في الدراسة الفنية ، وقسمته إلى ثلاثة مباحث: الأول : اللغة ، والثاني : الأسلوب والثالث : الصورة الشعرية .

وقد أنهيت البحث بخاتمة ضَمّنتها أهم النتائج لدراستي ، ثم كتبت في نهايته قائمة المصادر والمراجع التي استعنت بها .

وأما مصادر البحث ، فأَهمها كتب التراجم وتاريخ الأدب ومنها الوافي بالوفيات للصفدي والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد. أما المراجع فكان أهمّها كتاب عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي لمحمود رزق سليم وكتاب آفاق الشعر في العصر المملوكي لياسين الأيوبي . ولا أغفل عن ذكر دواوين الشعراء المتوافرة في المكتبات أيضاً .

وفي الدراسة الفنية اعتمدت على عددٍ من الكتب منها تحرير التحبير لابن أبي الأصبع والعمدة في صناعة الشعر لابن رشيق القيرواني وغيرها .

هذا هو محتوى العمل الذي قمتُ به بإيجاز .

التّمهيد

السُّخرية وعلاقاتها

أ- مفهوم السُّخرية .

ب- علاقة السُّخرية بالمجتمع .

ج- أنواع السُّخرية :

1- السُّخرية الاجتماعية .

2- السُّخرية السياسية .

3- السُّخرية الدينية .

د- أساليب السُّخرية .

هـ- أسباب اللجوء إلى السُّخرية.

أ- مفهوم السُّخرية :

لغة : من الفعل سَخِر . نقول سَخر منه وبه سَخْراً وسَخّراً ومَسْخراً وسُخراً بالــضم ، وسُخرةً وسِخرياً وسُخرياً وسخرّية أي هزء به . [1]

اصطلاحاً : السُّخرية نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثّقافي الذي يقوم على أساس انتقاء الرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية فردية كانت أم جماعية ، وكأنها عملية رصــدٍ أو مراقبةٍ لها ، وتكون في أساليب خاصة منها التهكم أو الهزل أو الإضحاك ، كلُّ ذلك في سبيل التخلّص من خصال وخصائص سلبية .[2]

ب- علاقة السُّخرية بالمجتمع :

امتاز الشعر في العصر المملوكي بواقعية التصوير ، حيــث اســتمد الــشعراء مــادة صورهم الجزئية من واقع مجتمعهم ، بل صوّروا هذا الواقع في شتى مجالاتــه ، فــصوّروا الجوع والفاقة والحرمان ، وأبرزوا واقع التحلل الخلقي والاجتمــاعي [3] كمــا عبّــروا عــن مجتمعهم ومجريات أحداثه ، ونفّسوا من خلال الشعر عما يسري بأنفسهم من مشاعر بأسلوب متهكم ساخر يهدف إلى التخلص من الخصال السّلبية في مجتمعهم .

---

(1) ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة سَخِر.

(2) ينظر : عبد الحميد ، شاكر ، **الفكاهة والضحك** ، 51.

(3) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ، 444.

كل ذلك يدفعنا إلى القول إن البيئة الإجتماعية للشعب العربي تجتر آلامهـا وآمالهـا ، وتشكو وتكتم ، أو تُسري عن نفسها بالسُّخرية والنكتة والفكاهة والنقدة اللاذعة العابرة . [1]

جـ - أنواع السُّخرية :

1- السُّخرية الاجتماعية :

وينطوي تحتها فن الشكوى ، ونراه في النقد الاجتماعي أو في الشعر الفكاهي ، ولعلّ الفكاهة كانت أمس به وألصق ، بل لعلها كانت مظهراً من مظاهره ووسيلة مـن وسـائله [2] حيث ذهب الشعراء إلى تصوير فقرهم بطريقة ساخرة . وأبرزوا من خلالها بيان المفارقـات بين الفقراء والأغنياء ، وفي سبيل إبراز هذه المفارقة اتخذ الشعراء من أنفسهم ومـن حيـاتهم ودورهم مادةً لما يعرضونه من صورٍ ساخرةٍ تبرز عناءَ الناس وشقاءهم . [3]

كما نجد في هذا النوع من السخرية ملامح الإنسان الخارجية في الـشعر ، ومقابلهـا الجوانب المعنوية في ذات الانسان وحياته كالبخل ، والغباء والثقل ، وغيرها .

كما سَدّد الشعراء سهام سخريتهم نحو عادات اجتماعية سيئة برزت في عصرهم .

وفي السخرية الاجتماعية كذلك نجد سخريةً من فئات اجتماعية مختلفة مثل المرأة التي تصل السخرية ذروتها منها في الوصف والغمز واللمز عندما يتعلق الأمر بالشيب والشيخوخة عندها . [4]

---

(1) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 214/7.

(2) ينظر : نفسه ، 30/7.

(3) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ، 160.

(4) ينظر : القشطيني ، خالد ، **سجل الفكاهة العربية** ، 76.

ونجد سخرية من الحرفيين وحرفهم ومن الأدباء وغير ذلك مـن جوانـب الـسخرية الاجتماعية التي تظهر الروح الفكهة عند المصريين .

2- السُّخرية السياسية :

برز بعض الشعراء في العصر المملوكي في باب النقد السياسي [1] وهو نوع إيجـابي من الهجاء تجاوز حدود الفردية الضيقة ، ليتناول المثالب ذات الآثار السلبية في المجتمـع [2] حيث كان الشعراء يسخرون مما جنته البيئة السياسية وينعون عليها جهلها أو تجاهلها لأمـور العامة.[3]

3- السُّخرية الدِّينية :

أثرت بعض المذاهب والتيارات الدينية التي كانت شائعة في العصر المملـوكي فـي الشعراء ، فبروا ألسنتهم في الهجاء والسخرية من كل ما هو مثير للهزل .

كما كان للحروب الصليبية التي كانت مشتعلةً آنذاك أثرٌ فـي توقـد الـصراع بـين المسلمين والأقباط ، مما دفع المسلمين إلى هجاء الأقباط والسخرية منهم [4] ومـن كـل مـن يواليهم أو يوظفهم.

---

(1) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 13/7.

(2) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ،_164.

(3) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 13/7.

(4) ينظر : الفقي ، محمد كامل ، **الأدب في العصر المملوكي** ، 136.

د- أساليب السُّخرية :

نضح العصر المملوكي بلون الهجاء الساخر الذي يصور الشاعر من خلاله خــصمه تصويراً كاريكاتورياً مضحكاً . ويمتاز هذا الأسلوب بالرّشاقة والبعد عن الفحش والابتــذال ، والأهم أنه يصدر عن طاقة ذهنية ساخرة ومُبدِعة تعتمــد علـــى فــنٍ أصــيل وروح مرحـــة ضاحكة.[1]

وهناك الحيز العبثي الساخر الذي لا يخلو من التجريح ، ولكنه تجريح لا يــصل إلـــى هتك الأعراض كما يقول ياسين الأيوبي[2].

وقد كانت السخرية سلاح كثير من الشعراء ، وكان لكل شاعر طريقتــه وأســلوبه ، فمنهم من اكتفى باللمزة الخاطفة ، ومنهم من تفنن في تضخيم العيــوب وتجــسيد النقــائص ، ومنهم من كان يلمز بخبثٍ وكأنَ الأمر لا يعنيه ، أو كأن الأمر جاءَ عَرَضاً . [3]

هـ - أسباب اللجوء إلى السُّخرية :

هناك من الشعراء من لجأ إلى السخرية بهدف التلهي والضحك ، ودفع السآمة والملل، ورفع كابوس الهم والحزن ، وإبعاد النفس عن مشاغل الحياة بإطلاقها من أسرِ الجد . [4]

ولكن شعراء آخرين لجأوا إليها لإبراز عيوب المجتمع ، أو للتنفيس عن مشكلاتهم في الحياة بطريقة ساخرة ضاحكة . [5]

---

(1) ينظر : هداره ، محمد مصطفى ، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري** ، 436.

(2) ينظر : **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 183.

(3) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ، 157. .

(4) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 411/7.

(5) ينظر : سلام ، محمد زغلول ، **الأدب في العصر المملوكي** ، 291/1.

والأهم ، أن بعض الشعراء وعوا مسؤوليتهم الأدبية ، وموقعهم المميز ، فأشاروا إلى مواضع الفساد والإفساد والتّزلف والرّشوة والجهل وغير ذلك بهدف إصلاح المجتمع والقضاء على مظاهر الفساد فيه . [1]

ومن الشعراء من سخر لأهداف سياسية بحيث سعوا إلى وضع حَدٍّ لممارساتٍ سياسية ودينية غير مقبولة والتحريض عليها بهدف القضاء عليها ، وتنقية المجتمع من آثارها السلبية.

---

(1) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 277.

الفصل الأول

السُّخرية من ملامح الإنسان الخارجية في الشّعر .

أولاً : السُّخرية من الهيئة العامة .

ثانياً : السُّخرية من أعضاء الجسم.

ثالثاً : السُّخرية من اللحية .

الفصل الأول

السُّخرية من ملامح الإنسان الخارجية في الشّعر

أولاً : السُّخرية من الهيئة العامة للجسم :

يُعَدّ الجمال الموضوع الأسمى لروائع الأدب الغنائي والغزل الرَّقيق ، ومقابله " القبح " الذي أصبح الموضوع الطبيعي للسخرية والكوميديا والهزل ، ومــن هُنــا ، غــدا الظرفــاء يتهربون من التقزز منه إلى التّهكم به [1] فقد سخر الشعراء في مواقف كثيرة من أناس وجدوا فيهم العيوب، أو بعض مظاهر القبح ، ولكن السخرية – باعتقادي – كانت نابعة فــي معظــم الأحيان من حالةٍ نفسية يُعانيها الشاعر حيث الغيظ والغضب من المهجوّين الذي أجَّج المشاعر السلبية في قلوب الشعراء فتحوّلت إلى نيرانٍ نفثوها في وجه المهجوين ، كلها سخرية وتهكم .

فالبهاء زهير ، يسخر من أحد الثقلاء ، مصوّراً مظهره بالوعر ، ومُعتبراً بعده عنــه الرّاحة الكبرى ، ولربما لم يكن في هذا المهجو عيوباً تُذكر لكن هذا المظهر ارتسم في مخيلــة الشاعرِ تماشياً مع ثِقل دم المهجو يقول : [2]

أرحنـــــي مِنـــــكَ حَتّــــى لا أرى مَنظَـــــرَكَ الـــــوَعرا

فقـــــد صِـــــرتُ أرى بُعـــــدَ كَ عَنّـــي الراحَـــةَ الكُبـــرى

ويقول في شخص آخر : [3]

وَأسـوَدَ مافيـهِ مِنَ الخَيرِ خَصلَةٌ لَــهُ زَفـرَةٌ مِــن شَــرِّهِ وَشُـواظُ

خَلائِقُــهُ وَالفِعـلُ وَالوَجـهُ وَالقفـا قبــائِحُ ســوءٍ كُلُّهــا وَغِــلاظُ

غُـرابٌ وَلَكِـن لَـيسَ يَـستُرُ سَـوأةً وَكَلــبٌ وَلَكِـن لَـيسَ لهـا حِفـاظُ

---

(1) ينظر : القشطيني ، خالد ، **سجل الفكاهة العربية** ، 74.

(2) البهاء زهير ، **ديوانه** ، 143.

(3) نفسه ، 191.

هنا يشوّه الشاعر المهجو خَلقاً وخُلقاً ، مفتتحاً سخريته بذكر سواده ونفي كلّ الصفات الحسنة والخصال الحميدة عنه ، ويُبَيِّن لنا وجه الشبه بين خلائقه وأفعاله ووجهه وقفاه ، فكلها قبائح سوءٍ على حَدّ سواء . ويُمعن أكثر في السخرية منه حين يشبهه بالحيوانات ، فهو كالغراب قبحاً وكالكلب في سوء طبعه .

ويقول في آخر : [1]

وَأسـوَدُ شَـيخٍ فـي الثمـانينَ سِـنُّهُ غَدا وَجهُهُ مِن أبيَضِ الشَيبِ أبلَقا[2]

مَرّة أُخرى يستغل الشاعر سواد اللون للسخرية من مهجوّه ، ويمزج بين سواد اللون وبياض الشيب جاعلاً منهما مادة للتهكم .

ويستغل الجزار كذلك صفة السّواد للسخرية من شاعرٍ أسود نالَ من السّلطان رزقاً ومالاً، الأمر الذي أغاظ الجزار فسخر من شكله ومظهره قائلاً : [3]

غَيْرُ خافٍ عَنْك الذي ناله الأسودُ بالأمْسِ من ندى السُّلطان
وتمشّيه بالعمامة والثوبِ ومنديل الكُمِّ والطيلسان[4]
قُلْتَ : إذا فُصِّلت عليه أرى الزّخرف يُتلَى بالنَّص فوق الدَّخانِ

يسخِّر الجزار في الأبيات السابقة أسماء السور القرآنية لخدمة غرض السخرية من هذا الشاعر الأسود ، موضحاً أن لباسه الجميل وتمشيه بالعمامة والثوب والأكمام والطيلسان غير كفيلة بإخفاء صفات القبح عنه ، فهو في زينته إن أردت تفصيلاً كالزخرف فوق الدخان.

---

(1) البهاء زهير ، **ديوانه** ، 235.

(2) البلق : سواد وبياض ، ويقال للدابة أبلق وبلقاء ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة بَلَق.

(3) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 327.

(4) الطيلسان ، ضربٌ من الأكسية ، وهو ليس بعربي ن أصله فارسي ، إنما هو تالشان فأعرب ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة طَلَس.

ويسخر صفي الدين الحلي من متكبّرٍ جهم الوجه بقوله : [1]

لِـيَ جـارٌ كَأَنَّـهُ البـومُ فـي الـشَكلِ وَلَكِـــن فـــي عُجبـــهِ فَغُـــرابُ

فشكل المهجو شبيه البوم ، وفي تكبّره وعُجبه هو كالغراب البعيد كلّ البعد عن الجمال الذي يدعو إلى الكِبَر والتيه والإعجاب بالنّفس .

ثانياً : السُّخرية من أعضاء الجسم:

سخر الشعراء من أعضاء مهجويهم وخصوصاً العاهات الجسدية كـــالعور وغيـــره .

فيسخر صفي الدين الحلي في أبيات له من رجلٍ عظيم الأنفِ ، قائلاً : [2]

لَـو غَـدا أنفـكَ العَظـيمُ غَـدا وَهــ وَ وَقـــودٌ لِلنـــارِ ذاتِ الوَقـــودِ

ثُـمَّ قـالوا: هـلا اِمـتلأتِ لَقالَـت: هُـوَ حَـسبي وَلَـم تُـرِد مِـن مَزيـدِ

فهو يشبّه أنف مهجوه بمخزن وقودٍ لنار جهنّم ، ومن عظمه وكبـــره سَـــدّ حاجتهـــا ، فقالت حين سُئلت هَلا امتلأت : إن هذا الوقود من هذا المخـــزن سَّـــدّ حاجتهـــا ، ورفـــضت المزيد، وكل هذا جاء في إطار سخرية شديدة من هذا المهجو وأنفه .

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 534.

(2) نفسه ، 532.

أما ابن دانيال ، فيجعل من رؤيته لوجهه في الماء قِصَّة فكاهية قــام بنـــسجها وتَتَبُّـــع جزئياتها ليكوّن مشهداً يتفق مع طبيعته [1] حيث يقول : [2]

وَلَكَمْ قد رأيتُ فـي المـاءِ شيخاً وهـو جـاثٍ فـي الحـبِّ كالعيــارِ
شـيخُ سـوءٍ كـالثلج ذقنــاً ولكـن وَجهُـــهُ فـــي ســـوادِهِ كالقـــارِ
أشبَهُ النّـاسِ بي وَقد يشبه التّيــ ــسُ أخـاهُ فـي حَومـةِ الجـزّارِ
فـأعثّراني رُعْبٌ وَناديتُ مـا كُنْـ ـتُ أخـالُ اللـصوصَ فـي الأزيـارِ

وله أيضاً في تصوير نَفْسَه : [3]

لـه صورةٌ يُستَحن القـردُ عنـدها على أنَّ وجهَ القردِ أحسنُ منظرا
إذا مـا ابتـداني بالحـديثِ حَسِبْتُهُ تَـسَوَّكَ مـن فـرطِ النتّونـةِ بـالخرا

فصورته قبيحة لدرجةِ أن القِرد إذا ما قُورن بها استحسنَ مظهره ، وليس هذا فقــط ، بل إنه إن تَحدّثَ كانت لفمه رائحة كريهة جدّاً ، وكأنها – لفرط نتونتها – ناتجة عــن تــسَوّك الشاعِر بما ذكره في نهاية البيت الثاني .

وابن دانيال هُنا يحاكي الحطيئة الذي لم يجد من يهجوه في آخر المطاف ، فهجا نفسه في حديثه عن صورته التي رآها في الماء [4] وذلك حين قال : [1]

أرى لِـيَ وَجهـاً شَـوَّهَ اللـهُ خَلقـهُ فقُـبِّحَ مِـن وَجــهٍ وَقُـبِّحَ حامِلُــه

ويتتبع ابن دانيال الشواذ من ذوي العاهات فيستوقفهم في مخيلته ، ورسم لهم صـــورةً ساخرةً[2] ومن ذلك ما قاله في أَقْطع : [3]

---

(1) ينظر : القباني ، عبد الحليم ، **مع الشعراء أصحاب الحرف** ، 101.

(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 180.

(3) نفسه ، 175.

(4) ينظر : القباني ، عبد الحليم ، **مع الشعراء أصحاب الحرف** ، 41.

وأقطـــــع قلـــــتُ لـــــهُ   هَـــل أنـــتَ لـــصٌ أوحَـــدُ
فقـــالَ: هـــــذي صَـــنْعَةَ   لـــم يَبْـــقَ لـــي فيهـــا يَـــدُ

ومثله شمس الدين بن الصائغ الذي سَخِر من من رجلٍ أقطع في قولِه : (4)

تجنّــب كُــلَّ أقطــع فهــو لِــصٌ   يُريــدُ لــك الخيانَــة كُــلَّ ســاعَهْ
ومــا قطعــوه بعــد الوصــلِ لَكِــن   أرادوا كفَّــهُ عَــن ذي الــصّناعَهْ

ويقول ياسين الأيوبي إن الشاعِر ينسج خيوطه من ثوب المهجو نفسه ، حيث يتلاعب بلفظ العاهة الجسدية عابثاً بصاحبها من غير خَدْشٍ أو تجريح ، ويرى أنه هجاء لطيف فيه شيءٌ من التَّسلية . (5)

ولكن برأيي أيُّ لطفٍ في هذه الأبيات ، وأين هو العبث الذي لا يخدش ولا يجرح !؟ إنّ الشاعر هنا كانَ جارحاً وقاسياً لأنه ليس كلّ أقطع بالضرورة لصاً ، ولكن الشاعِر تَسَرّع في إطلاق حكمه وتعميمه .

أما محيي الدين بن الطاهِر فيقولُ ساخِراَ من رجلٍ أعور: (6)

وأعْــور العــين ظَــلّ يكــشفها   بــلا حيــاءٍ مِنــه ولا خِيفــهْ
ولــيسَ يُلقــى الحيــاءُ عِنْــدَ فتــىً   عَوْرتـــه لا تـــزال مكـــشوفهْ

نرى في البيتين السابقين كيف أن سخرية الشاعر امتزجت بالقسوة والتجريح ، وابتعدت عن حِسِّ الفكاهة والضحك .

ومثله ابن الوردي الذي سَخِر من رجل أعور ، حيث قال : (7)

لا تـــــصحبنَّ أعــــوَرا   وإنْ تنــــــاهى زينُـــــهُ

---

(1) الحطيئة ، **ديوانه** ، 257.
(2) ينظر : سلام ، محمد زغلول ، **الأدب في العصر المملوكي** ، 172/2.
(3) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 104.
(4) بردي ، ابن تغري ، **النجوم الزاهرة** ، 196/8.
(5) ينظر : **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 184.
(6) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 254.
(7) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 268.

لـــــوْ كـــــانَ فيــــهِ راحـــــة   مـــــا فارقتْـــــــهُ عينُـــــــهُ

فالشاعر استغل هذه العاهة ، محاولا الإضحاك ، ساخِراً منها على سـبيل المـزاح ، غير آبِهٍ ولا مبالٍ بمشاعِرِ أصحابها .

ويقول أيضاً ، ولكن هذه المرّة في أعورين : [1]

أعــورُ بـــاليمنى إلـــى جنبـــهِ   أعــورُ باليــسرى قــدِ انــضما
فقلـتُ يـا قـومُ انظـروا واعجبـوا   مــن أعــورينِ اكتنفــا أعمــى

مَزَح الشاعر في صورة شعرية غريبة بين أعورين جَعَل بينهما أعمى ، ورسـم لنـا صورة يمكن طبعها في أذهاننا لنرى من خلالها عملية اندماج الأعورين ليكونا اعورين بينهما أعمى .

من خلال ما سبق نرى كيف تَفَنّن الشعراء في السّخرية من هيئة الجسم وأعـضائه ولونه وأمعنوا في السخرية ، حتى جاءّتنا هذه الصّور الفكهة المـضحكة أحيانـاً ، والمقـززة القاسية أحياناً أخرى .

---

(1) نفسه ، 239.

ثالثاً : السُّخرية من اللحية :

كان للحية نصيب كبيرٌ في الشعر ، ولقد أحبّها العرب واحترموا أربابَهـا ، وجعلوهـا مظهراً من مظاهر الوقار ، وشعاراً من شعارات الرجال المتمسكين بدينهم ، ولأنّهم أحبوهـا ، كرهوا من يستغلونها ويتخفون وراءَها ، موارين جهلهم وسوء خُلقهم خلفها [1] فسخر الشعراء من هؤلاء الذين يستغلون اللحية وجعلوا موضع سخريتهم اللحية نفسها .

يقول الخياط الدّمشقي في هجاء رجلٍ ملتحٍ : [2]

كم تُظْهر الحُسنَ البديع وَتدّعي	**وبياضُ وجهك في النّواظِرِ مُظْلِمُ**
هل تَصْدقُ الدّعوى لمن في وجهِهِ	**بالذّقن كَذَّبه السَّوادُ الأعظمُ**

يَسْخَرُ الشاعِر من هذا الشخص الذي يدّعي الورع والتّقوى مُظهراً الحسن البديع من خلال التحائه ، فيلتفت الشاعر حَول هذه اللحية التي استغّلها مهجوه للتدليل على تقواه ، بحيث حَوّلها الشاعر إلى دليلٍ على كذب هذا الملتحي وسوء ادّعائه .

ومن الشعراء الذين فاضت قرائحهم في هذا الشأن البهاء زهير حيث يقول في شيخٍ ملتحٍ: [3]

وَأسوَدُ شَيخ في الثمانينَ سِنُّهُ	**غدا وَجهُهُ مِن أبيَضِ الشَيبِ أبلَقا**
لَهُ لِحيَةٌ مُبيَضَّةٌ مُستَديرَةٌ	**أشَبِّهُهُ فيها عُقاباً مُطَوَّقا**

فالشاعر يجعل من لحية هذا الشيخ العجوز مادة للسخرية منه ، فلحيته مبيضّة مستديرة ، ووجهه الأسود مغمور تحتها ، ومع هذا البياض وهذا السواد تحته غدا هذا الرجل كالعُقاب ، وأي عُقاب ؟ عقابُ مطوّق بالبياض .

---

(1) ينظر : أمين ، بكري الشيخ ، **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني** ، 145.

(2) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 302/4.

(3) البهاء زهير ، **ديوانه** ، 235.

وله قصيدة في أحمقٍ ملتحٍ ، يستطرد فيها في وصف لحيته ، متفنناً في السخرية ، مُغالياً في التهكم ، حيث يقول : [(1)]

وَأحمَـــــــقٍ ذي لِحيَـــــــةٍ	كَبيـــــــــرَةٍ مُنتَـــــــــشِرَه
طَلَبـــــتُ فيهـــــا وَجهَــــهُ	بـــــــــشِدَّةٍ فَلَـــــــم أره
مَعرِفَـــــــــةٌ لَكِنَّـــــــــهُ	أصـــــــبَحَ فيهـــــا نَكِـــــرَه

الشاعر يربط هنا بين الحمق واللحية ، حيث يُستَدل على الحمق بطول اللحية كما يُقال، لأن مخرجها من الدّماغ ، فمن أفرط في إطلاق لحيته قَلَّ دماغه ، ومَن قلّ دماغه قَلَّ عقله ، ومن قلّ عقله فهو أحمق . [(2)]

وهذا الأحمق الذي يتحدث عنه الشاعر أصبح نكرةً مجهول الهوية لأن لحيته الكبيرة المنتشرة تُخفي معالِمه ، ويُكمل الشاعر : [(3)]

ثَـــــورٌ غَــــدا أعجوبَـــــةً	بلِحيَـــــــــةٍ مُـــــــــدَوَّرَه
لَـــو كـــانَ ذاكَ الثَـــورُ عِـــجٌ	لاَ عَبَدَتَـــــــهُ الـــــــسَمَرَه
تَبّـــاً لَهـــا مِـــن لِحيَـــةٍ	كَبيـــــــرَةٍ مُحتَقَـــــــرَه

ينعت الشاعر مهجوّه بالثور الذي غدا أعجوبةً بلحيته المدوّرة ، ويلعن هذه اللحية المحتقرة ، ثم يكمل قائلاً : [(4)]

عَظيمَـــــــةٍ لَكِنَّهـــــــا	لَيـــــسَت تُـــساوي بَعَــــرَه
كَـــم قَريَـــةٍ لِلقَمـــلِ فـــي	حافّاتِهـــــــا وَمَقبَـــــــرَه

(1) البهاء زهير ، **ديوانه** ، 162.

(2) الأبشيهي ، **المستطرف من كلّ مُستَظرف** ، 16/1.

(3) البهاء زهير ، **ديوانه** ، 162.

(4) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 162.

وهنا أجادَ الشاعرِ في امتهان هذه اللحية رغم عظم حجمها ، وصَوّرها لنا أرضاً أنشأ القمل عليها قُراه ، فيها حياته ومماته . وهذه صورة ساخرة ومقززة ولكنهـا مـضحكة فـي الوقت نفسه .

بعد ذلك يبدأ الشاعر بنظم كلماته لِتَنْطَبِعَ في أذهاننا على شكل رسومات كاريكاتورية ، تدعونا للضحك حين يقول : [1]

قـــد نَبَتَـــت فـــي وَجهِـــهِ ... فـــوقَ عِظــــامٍ نَخِـــرَه
بــــــــارِدَةً ثقيلَـــــــةً ... مُظلِمَــــــــةً مُكَـــــدَّره
كَأنَّهـــــــا سَـــــــحابَةً ... فـــوقَ الـــبلادِ مُمطِـــرَه
ماكــــانَ قـــطُّ رَبُّهـــا ... مِـــنَ الكِـــرامِ البَـــرَرَه

وكأنه ينقل لنا حالة الطقس من خلال وصفه لهذه اللحية ، حيثُ البرد والثقل والظــلام والتكدّر ، ويصفها بالسّحابة السوداء الثقيلة الممطرة التي تُغطي البلاد ، وينفـي فـي البيـت الأخير صفة الكرم والجود عن صاحبها ، كل ذلك في إطارٍ مضحكٍ أَتْحَفَنا بـه فأضـحكنا . ويختم الحديث عن هذه اللحية بقوله : [2]

مُـــضحِكَةً مـــا كـــانَ قـــطُ مِثلُهـــا لمَـــسخَرَه

أما ابن الوردي فيقول في شخصٍ لحيته طويلة : [1]

لحيتُــــهُ طويلــــةً ... قـــدْ أثقلَـــتْ أحناكَـــهُ
لـــو غـــاصَ فـــي البحـــر بهـــا ... لعرقلَـــتْ أســـماكَهُ

تصوير طريف للحية هذا الرّجل ، إذ جعل الشاعرِ منها شبكةً تعرقل أسـماك البحـر وتكون بمثابة قصيدة لو غاص صاحبها في البحر .

وبهذه الأبيات الطريفة ننهي حديثنا عن السخرية من اللحية .

---

(1) نفسه ، 162-163.

(2) نفسه ، 163.

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 394.

الفصل الثاني

السُّخرية من الجوانب المعنوية في ذات الإنسان وحياته في الشعر

أولاً : السُّخرية من ضيق الحال .

ثانياً : السُّخرية من البخل .

ثالثاً : السُّخرية من الحمق والثقل .

رابعاً : السُّخرية من الأنساب .

خامساً : السُّخرية من التناقض في حياة الشخص .

سادساً : السُّخرية من إخلاف الوعد .

سابعاً : السُّخرية من مفاسد إجتماعية وأخلاقية أخرى .

الفصل الثاني

السُّخرية من الجوانب المعنوية في ذات الإنسان وحياته في الشعر

أولاً : السُّخرية من ضيق الحال :

"تنوعت شكاوى الشعراء ما بينَ توجّع وتَذَمّر ونفور"[1] ولَعَلَّ أولَ ما يُلاحظ عندهم هو الشكوى الدائمة من جور الزمان ، ومن سوء الحظ ، حيث حكمِ عليهم بالفقر والعازة والفاقة [2] فمنهم من رزَخ تحت أَثقال الفقر والعوز ، وضاقت به الدنيا ، إنطلاقاً من حجرته الضّيقة ، وثيابه الرّثة ، وطعامه النادر ، مما جعله عنوان زمانِه في عُسْرِ الحال ، وشدّة الهزال وتقلب الأيام. [3]

ولعلّ أول الشعراء الذين تجدر الإشارة إليهم ، الجّزار ، الذي بالغ في وصف فقره وشكوى حالِه وفاقته حتى انقلب عنده الأمر إلى سخرية وضحكٍ ، ومن ذلك صوره الطريفة المضحكة التي قالها في وصف داره الخربة ، حيث قال : [4]

ودار خرابٍ بها قد نزلتُ	**ولكن نزلتُ إلى السّابعَهْ**
طريقٌ من الطّرق مسلوكةٌ	**محجّتها للورى شاسِعَهْ**
فلا فرْق ما بينَ أنّي أكون	**بها أو أكونُ على القارعَهْ**
تساورُهَا هفواتُ النَّسيم	**فتُصْغي بلا أذنٍ سامِعَهْ**
وأخشى بها أن أقيمَ الصَّلاة	**فتسجُدُ حيطانها الرّاكِعَهْ**
إذا ما قرَأتُ إذا زُلزلت	**خشيتُ بأن تقرأ الواقِعَهْ**

" حلقات من المشهد المسرحي السَّاخر ، وسُلَّم من المعاني والصّور المتدرّجة عمودياً وأفقياً من البسيط إلى المركب ومن العام إلى الخاص" [1] ففي البيت الأول يجعل الشاعر داره

---

(1) الأيوبي ، ياسين ، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، 307.

(2) ينظر : محمد ، محمود سالم ، أدب الصنّاع وأرباب الحرف ، 224.

(3) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، 307.

(4) الحموي ، ابن حجّة ، خزانة الأدب ، 251.

الخربة لا على الأرض ، وإنما في قاعِها ، في سابع أرض . ويجعلها في البيت الثاني محجَّــة للناس الأمر الذي يجعلها بمثابة القارعة كما يقول في البيت الثالث . حتى أنّه لــشدةِ خرابهــا يخشى إقامَة الصلاة فيها فتسجد حيطانها الراكِعه ، ويخاف من قِراءة سورة "الزلزلـــة" فيهــا خشية قِراءتها "الواقِعة" .

ويظهر أن الجزّار كان يُكثر من إضحاك الناس على حياته ومعيشته ، ولم يكن يُبـــالي في سبيل ذلك أن يصفَ داره وصفاً مضحكاً ، أو أن يصف بعض ثيابه وملابسه [2] كما فـــي قوله: [3]

لـــي نِـــصفيّةٌ تُعَـــدٌّ مـــن الْعُمْـــرِ — ســـنيناً غـــسَلْتُها ألْـــفَ غـــسْلَهْ
كّلٌّ يومٍ يَحوطُها الْعَصرُ والدّقُ — مِـــراراً ولـــن تُقِـــرَّ بعُمْلَـــهْ
أيـــن عيـــشي بهـــا القـــديمُ وذاك — التّيـــه فيهـــا وخَطْرَتـــي والـــشَّمْلَهْ
حيـــثُ لا فـــي أجنابهـــا رُقْعَـــةٌ قـــطُّ — ولا فـــي أكمامِهـــا وَصْـــلَهْ

فهذه " النصفية " لطالما لُبست وصُبِغت ، تُدق وتُعصر كلّ يوم ولكـــن بـــلا فائـــدة ، ويتحسر الشاعِر عليها إذ يتذكرها عندما كانت جديدة خالية من الرّقع والوصلات ، كـــلّ ذلـــك للدلالة على اهترائها الحالي ، كل هذا بأسلوب فكهٍ ساخر .

---

(1) الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 385.
(2) ينظر : ضيف ، شوقي ، **في الشعر والفكاهة في مصر** ، 78.
(3) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 304/1 و الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 287/4.

ويقول في أبياتٍ أخرى : [1]

لـي مـن الـشّمس خِلْعَـةٌ صـفراءُ   لا أُبـالي إذا أتـاني الـشّتاءُ[2]
ومـن الزّمهريـرُ إذا حَـدَثَ الغـيمُ   ثيـابي وطَيْلـساني هَـوَاءُ
بيتـي الأرض والفـضاءُ بـه سـو   رٌ مُـدَارٌ وسـقفُ بيتـي سـماءُ
لو تراني في الشمس والبرد قدْ   أنحَـل جـسمي لَقُلْـتَ إنّـي هَبَـاءُ
لي من الليل والنهار على الطّو   لِ عـزاءٌ لا ينقـضي و هَنَـاءُ

لا يسخر الشاعر هُنا من ملابسه ، لأنَّه لا مَلابس له ، فمن الشمس له خلعة صفراء ، وثيابه وطيلسانه الهواء ، أما بيته فالأرض وسقفه السّماء . ولا يأبه الشاعرِ من السّخرية من نفسه حين أنْحَل البرد جِسمه فصار كأنّه هَبَاء . ويتحدث الجزّار عن البرد في مَوضِع آخر حيث يقول:[3]

أدركـوني ، فَبـي مـن البـردِ هَـمٌّ   لـيسَ يُنْسَى وفـي حشايَ التهـابُ
ألبـستني الأطمـاعُ وَهُمَـاً ، منهـا   جـسمي عـارٍ ولـي فِـرى وثيـابُ
كُلَّمـا ازْرَقَ لـونُ جِـسمي مـن ال   بـردِ تخّيلـتُ أنَّـه سِـنْجَابُ

يُحْسنُ الشاعر التّخلص من موقفِ التحسر والألم إلى السخرية والضحك ، فبرغم الألم والمرض البادي عليه من خلال شعره ، يسخر من نفسه بأسلوبه الفكه المضحك حيث يشبّه نفسه حين يزرق جسمه من البرد بالسنجاب .

وعلى ما يبدو ، فإنَّ بين الشاعر وفصل الشتاء عداوة وكره ، حيث يحدّثنا عنه في مَوضِعٍ آخر بقوله : [4]

إنَّ فَصْلَ الشّتاء مُنْذُ نحا جسمي   أبْـدَت بيانَـه الأعـضاءُ
فيـه عظمـي المبـرَّدُ إذ عَـنّ   واحتمـى الفـرّاءُ

---

(1) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 309/1.

(2) الخِلعة من الثياب ، ما خلعته فطرحته على آخر أو لم تطرحه ، وكل ثوبٍ تخلعه عنك هو خلعة . ابن منظور ، **لسان العرب**، مادة خَلَع.

(3) ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، 293/13. و اليونيني ، **ذيل مرآة الزمان** ، 63/4.

(4) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 329.

ولكنه لا يتورّع رغم الألم عن استدرار ثقافته النحوية ، إذ نراه يأتي على ذكر أسماء مشايخ العلوم في معرض سخريته من البرد وفصل الشتاء الذي أنحل جسمه .

وهُنا نرى كيف كان الجزّار يحوّل مأساته إلى فكاهة ، وفقره وفاقته إلى مادةٍ للسخريةِ، فكان شعره " لوحةً متعدّدة الألوان ، صادقة المعاناة ، مثيرة لمشاعِر الرّضى والسّخط والضحك في آنٍ واحد " . [1]

وقد ذَهَب سراج الدين الوراق مَذْهَبَ صاحبه في شكوى الفقر ، فصوّره بلسانٍ هزلي ساخر مستخدماً مصطلحات العروضيين ، كما في قوله : [2]

قالــتْ : جَمعْـتَ لِفَاقــةٍ كَــسَلا   فـانْهضْ وَقُـمْ واذْأبْ لِهَـمِّ العَائِلَـه
فَأجبْتُ هَلْ تَـدْرين لـي سَبباً فقـا   لَتْ: لا ولا وَتَداً وَهذِى الفاصِلَه[3]

ومثلما وصف الجزّار نصفيته ، فإنَّ الوراق قد وَصَفَ جُوخته [4] قائلاً[5] :

هـذا وجُـوختي الزّرقـاءُ تَحْـسَبَها   مـن نَـسْجِ داود فـي سَرْدٍ وإتْقـانِ
قَلَبْتُهـــا فغَـــدت إذ ذاك قائلــــةً :   سـبحانَ ربّـي بَـلا قلبـي وأبلانـي
إنّ النّفـاقَ لـشيءٌ لَـسْتُ أعْرِفـه ،   فكَيـفَ يُطْلَـبُ منـي اليـومَ وجهـانِ

الوراق هنا لم يشتكِ شكوى الجزار ، ولم يبالغ مبالغته ، ولكنه برع من خلال إقامة حوار لطيف مع جوخته ، أنطقها فيه بالحكمة ، ليصل إلى أنها بالية . [6]

---

(1) الأيوبي ، ياسين ، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ، 185.
(2) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 265/1.
(3) السبب والوتد والفاصلة : من مصطلحات العروضيين فهناك السبب الخفيف والسبب الثقيل والوتد المفروق والوتد المجموت والفاصلة الصغرى والفاصلة الكبرى ، يراجع في كتب العروض .
(4) الجوخ : نسيج صفيق من الصوف ، **المعجم الوسيط** ، مادة جَاخَ .
(5) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 145/1.
(6) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصنّاع وأرباب الحرف** ، 250.

ومن الشعراء الذين شكو ضيق حالهم وفقرهم ، ابن دانيال ، حيث سَخِر في أبياتٍ عديدة من نفسه وحالِه وبيته ، ومن أطرف ما يُمكن ذكره له في هذا المجال وصفه لحالِه ولفقره في مسرحيته " طيف الخيال " حيث الفكاهات التهريجية في بعض مشاهدها [1] ومنا قوله : [2]

أصبّحتُ أفقرَ مَن يَروحُ وَيغتدي	**ما في يَدي من فاقتي إلاَ يَدي**
في مَنزلٍ لم يحَوِ غيريَ قاعداً	**فمتى رَقَدتُ رَقَدتُ غيرَ مُمَدَّد**
لَمْ يبقَ فيهِ سِوى رسومِ حَصيرةٍ	**ومخدَّةٍ كانَتْ لأمِّ المهتَدي**
تُلقى على طُرَّاحةٍ في حَشْوها	**قملٌ شبيهُ السمسمِ المُتَبَدِّدِ**
والبقُّ أمثالُ الصّراصِرِ خِلقةً	**مِن مُتَّهمٍ في حَشوها أو مُنْجِدِ**

منزل الشاعر ضيق لا يتسع لرقاده ، ليس فيه سوى حصير بل رسوم حصيرة ، ومخدّة قديمة بالية ، وهذه المخدّة محشوّة بالقمل المتبدد الذي يبدو كالسمسم المنثور ، وهي مليئة بالبقِّ والصراصير التي أبلتها وأفسدتها ، كل تلك صور ساخرة ساقها الشاعر ليؤكد أنه أفقر الناس جميعاً وأنه لا يملك من أمره إلا الفاقة والعوز .

ويرى محمود سالم محمد أن ابن دانيال " قدَّم لنا صورة فريدة للفقر المثالي الذي يمكن أن يصيب الناس ، ولولا هذا الفقر ما كان لنا مثل هذا الأدب الذي يعكس وَضْع الفقراء ، وينفّس كربهم ، ويثير تساؤلاتهم الكامنة وراء ما هم فيه من عوز وفاقة ، والتساؤل بداية البحث عن سبيل الخلاص " . [3]

---

(1) ينظر : ضيف ، شوقي ، **في الشعر والفكاهة في مصر** ، 78.

(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 154 و حمادة ، ابراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 165.

(3) **أدب الصناع وأرباب الحرف** ، 256.

وقد أعاد ابن دانيال وصف بيته وحاله وصفاً مؤثراً ، حيث بلغ بـــه الــضيق مبلغـــاً عظيماً ، وضاق صدره من ضيق حاله فقال : (1)

لـم يَبْقَ عِنـدِيَ مـا يُبـاعُ فَيُـشترَى إلا حَـصيراً قـدْ تَـساوى بـالثّرَى
فـي منـزلٍ كـالقبرِ كَـمْ قـدْ شـاهَدَتْ فيـــه نَكيـــراً مُقلتـــايَ وَمُنكـــرا

يجد الشاعر بيته كالقبر ، وهذا إن دلَّ على شيء إنما يدلُّ على صعوبة عيشه ، ولكن يسخر مفضّلاً القبر على بيته في قوله : (2)

والقبـرُ أهنـا مَـسكناً إذْ لـم أكـنْ مَـعْ ضَيقِ سُكناهُ أُطالـبُ بـالكرى

وقد سخر ابن داينال من ملابسه سخريته من منزله ، حيث صَوّر لنا ثوبـــه المرقّـــع بقوله:(3)

هــذا ولـــي ثــوبٌ تَــراهُ مُرَقعــاً مـنْ كُـلِّ لَـونٍ مثـل ريـشِ الهُدْهـدِ

السخرية من ثوبه واضحة ، ولكنها لطيفة مقارنة مع وصفه لجبَّته (4) الباليـــة التالفـــة حيث يقول : (5)

لـــي جَبّـــة فَنيَـــتْ ممّـــا أنَـــشيِّها ومـــا أُخَيِّطُهـــا إلا بأشـــراس(6)
وَرَثَّ شاشــيَ حتــى ظـنَّ مُبـصرهُ أنَّ العنـاكبَ قد سُدَّت على راسـي

فجبَّته لا يقيمها إلا النشاء ، ولا تخاطُ إلا بالأشواك الصغيرة لشدة قـــسوتها ، وشاشـــه تالفٌ رثٌ يظن الناظر إليه أنه نَسْجُ عناكب لشدة وَهنه ، ولأن خيوطه قليلة واهية كذلك .

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 151-152.
(2) نفسه ، 152.
(3) حمادة ، إبراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 167.
(4) الجبّة : ضرب من مقطعات الثياب يُلبس ، وجمعها جُبَب ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة جَبَب.
(5) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 72.
(6) الأشراس : جمع شِرس ، وهو ما صَغُر من شجر الشوك ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة شَرَس.

ولكن لم يكتفِ ان دانيال بوصفِ ملابسه البالية التالفة بتلك الصفات ، بل ذهــب إلــى أبعد من ذلك عندما وصف نفسه عرياناً وذلك إشارةً إلى انعدام ما يلبسه على جسمه ورأســه وانعدام قيمته المادية ، حين قال : [(1)]

أوَ مــاذا الــشِّتا أتــاني وفــوقي جُبّــةٌ قــد لَبِــسْتُها مــن جِلــدي
وَلِرأســي مــنَ العمــائمِ شَــعري ذات مــشطٍ أعيـى بَنَــانَ ألمُــسَدي

ننتقل من سخرية ابن دانيال إلى سخرية شاعر آخر هو البوصيري ، حيث سخر مــن فقره بسبب كثرة أولاده ، وشكا من ضيقِ حاله وكثرة أسفاره سعياً وراء الرّزق . [(2)]

ومن شعره الذي يتحدث فيه عن أحواله الخاصة قصيدة عَرَض فيها شكواه على أحــد الوزراء شاكياً فقره وضيق حاله وكثرة عياله بقوله : [(3)]

يــا أيّهــا المَــوْلَى الــوزيرُ الّــذي أيَّامُــــــهُ طائِعَــــــةٌ أمْــــــرَهْ
ومَــــنْ لَــــهُ مَنْزِلَــــةٌ فــــي العُــــلا تَكِــلُّ عَــنْ أوْصَــافِهَا الفِكْــرَهْ

ففي هذه الأبيات محاولة من البوصيري استدرار عطف ممدوحه ، حيث يــذكر فيهــا مدى سوء حاله ، مقدماً لذلك صوراً مؤلمة تثير في النفوس مشاعر الشفقة والرّحمة [(4)] ولكنها ممزوجة بالسّخرية والضحك في آن واحدٍ حيث يقول : [(5)]

فــي قِلَّــةٍ نحــن ولكــن لَنــا عائلـــةٌ فـــي غايَـــةِ الكَثْـــرَهْ
صَــاموا مَــعَ النَّــاسِ ولكــنَّهمْ كـــانوا لِمَـــنْ أبـــصرهم عِبْـــرَهْ
إن شَــربُوا فــالبِئْرُ زِيــرٌ لهُــمْ مــا بَرِحَــتْ والــشَّرْبَةُ الجَــرَّهْ
لهُــمْ مِــنَ الخُبَّيْــزِ مَــسْلوقةٌ فــي كــلِّ يَــوْمٍ تُــشْبهُ النَّــشْرَهْ
أقُــول : مَهمــا اجتمعـوا حَوْلَهــا تَنَزَّهُــوا فــي المــاءِ والخُــضْرَهْ

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 238.
(2) ينظر : الركابي ، جودت ، **الأدب من الانحدار إلى الازدهار** ، 177.
(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 115.
(4) ينظر : أبو علي ، نبيل خالد ، **البوصيري ، شاهدٌ على العصر المملوكي** ، 61.
(5) البوصيري ، **ديوانه** ، 110.

تكمن الفكاهة في الأبيات السابقة في مشهد تحلّق أولاد الشاعر بعد الصيام حول الخبيزة المسلوقة يسوقها بأسلوب ساخرٍ حيث يجعل من هذه الوجبة نشرة يومية ، ويتابع سخريته من خلال إقناعهم بأن هذا الطعام لا يُمل بقوله : " تنزّهوا في الماء والخضرة " .

ثم يتحدّث عن إقبال العيد عليهم وهُم في أضيق حال ، حيث لا قمح ولا خبز ولا فطر عندهم ، مُعادلاً ومساوياً بين أيام الصوم والإفطار بالنسبة لهم ، حيث يقول : [(1)]

وأقبلَ العيدُ وما عندهم قمْحٌ وَلا خُبْزٌ ولا فطْرَهْ

وهذه كلها " أبيات مريرة وإن تخلَّلتها الفكاهة ، وسطورٌ باكية وإن مازَجتها النكة " [(2)]

وشكا ابن دقيق العيد فقره وضيق حاله كذلك ، حيث يقول : [(3)]

لعمري لقدْ قاسيتُ بالفقر شدة وَقعتُ بهَا فِي حَيْرة وَشَتات
فإنْ بحتُ بالشكوى هتكتُ مروءَتي وإنْ لن أبحْ بالصَّبْر خفْتُ مَمَاتي
وأعظِمْ بهِ مِنْ نَازل بمُلِمَّة يُزيلُ حَيائي أوْ يُزيلُ حَيَاتي

كل ما سبق من أبيات يدلل على قسوة حياة هؤلاء الشعراء وضيق حالهم ، ولكن من الغريب ما يُلاحظ عند بعضهم من سخريةٍ من ركوبهم وحيواناتهم للدلالة على حالهم وللسخرية والهزل . [(4)]

ومن الشعراء الذي تحدّثوا عن حيواناتهم ابن دانيال ، حيث كان له حمار ، فسخر منه ووصفه وصفاً يدعو إلى الضحك حيث قال : [(5)]

---

(1) البوصيري ، **ديوانه** ، 111.
(2) سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 240/7.
(3) الكتبي، ابن شاكر، **فوات الوفيات**، 445/3-446 .
(4) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصنّاع وأرباب الحرف** ، 260.
(5) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 256.

وَلَقَدْ رَكبت منَ الحميرِ مُكَدَّماً   مَكراً بطيّاً للحران مصاحبا
رجلايَ في جَنْبَيْهِ منذُ رَكبتُهُ   لَنْ يَفْتَرا فَغَدَوتُ أمشي راكبا

فحماره عنيد حرون ، يستمر راكبه في ركله حتى يمشي ، ولذلك يتساوى راكبه مع الماشي لأنه لا ينفك يحرك قدميه كيما يمشي حماره .

ولكن لو نظرنا إلى هذه الأبيات السابقة ، لتساءَلنا : هل المقصود بالسخرية فيها الحمار نفسه ؟ أغلب الظن لا ، المقصود صاحب الحمار ، فما الذي يدفعه إلى الصبر على حمارٍ كهذا ؟ إنه الفقر الذي لا يسمح بشراءِ حمارٍ غَيْره.(1)

ولكن يظهر أنه استطاع الاستغناء عن هذا الحمار واستبدله ببرذون ، لكنه لم يكن أفضل حالاً من سابقه ، يقول فيه ابن دانيال : (2)

قد كَمّلَ اللهُ برذوني بَمْنقصةٍ   وشانَه بعدَ ما أعماهُ بالعَرَج
أسيرُ مثلَ أسيرٍ وَهَو يَعرُج بي   كأنّه ماشياً ينحطُ منْ دَرَج
فإنْ رَماني على ما فيهِ من عرج   فما عليه إذا ما متُ من حَرَج

أعمى وأعرج برذون هذا الشاعر ، وليس على الأعمى حرج ، وليس على الأعرج حرج، وبالتالي ليس عليه حرج إذا قتل صاحبه ولكن ، ما الذي صَبّر الشاعر عليه ؟ إنه الفقر، ولكنَّ الشاعر لا يبالي من السخرية من فقره وجعل مركوبه مادةً لهذه السّخرية ، وهذا ما نراه في قوله ساخراً من برذونه مرة أخرى ، حين يقول : (3)

برذونُ سوء والنّاس تَعْرفُه   ذا عَرَجٍ بل أصمٌّ ذا خرسِ
يخاف من رؤيةِ الذّباب فما   يأكلُ قضماً إلاَّ مَعَ الغَلَسِ
إذا رآهُ كلب عَوى قرَماً   وَثْباً عَلَيْه في زي مفترَس(4)
يحسَبُه جيفةً وَحَسْبي من   ركوبه أنّني على نجس(1)

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصنّاع وأرباب الحرف** ، 261.

(2) حمادة ، إبراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 168.

(3) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 81.

(4) القرم : شدة الشهوة إلى اللحم ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة ، قَرَم.

حـــاز جميـــعَ الأمـــراض قاطبـــةً ... ولـم يفتْـهُ منْهـا سـوى الـضّرَس

برذون سوء ، أعرج وأصم وأخرس ، جبان خواف كالجيفة من شدة هزاله وضعفه ، نَجِسٌ ، حائز على جميع الأمراض ولم يفته منها سوى الضرس ، هذه صفات برذون الشاعر، أيُّ عاقلٍ يحتمل حيواناً مع كلّ هذه الصفات السيئة المقززة ، إنه إنسان فقير لا يملـــك شـــراء مركوب يفتخر به ، الأمر الذي دفعه إلى السخرية من مركوبه .

ويدلل لنا الشاعر مدى سوء حاله ، والبطء في تحسن أموره من خلال الـــصور التـــي رسمها للحيوانات التي اقتناها ، فأولاً ذاك الحمار الحـــرون العنيـــد ، ثـــم البـــرذون الهالـــك المريض، وأخيراً استطاع أن يقتني فرساً ، ولكن ، هل هو أفضل حالاً من سابقيه ؟ يبـــدو أن مادية الشاعر لم تمكنه من شراء فرس يُفتخر به فسخر منه حاله حـــال الحمـــار والبـــرذون ، حيث يقول فيه : [2]

فـــــرَسٌ تَـــــراهُ إذا سَـــــرى ... للـــضّعف يمـــشي القهقـــرى
يحكـــي ســـكابَ ســـوى المحـــا ... ســـن لا يُبـــاعُ فَيُـــشْتَرى[3]
وكأنّـــــه الفتّـــــالُ يَمـــــشي ... فـــي الطّريـــق إلـــى الـــورى

ولكن ما أحلى فرس ابن دانيال إذا ما قورنت بفرسِ الحلّي ، إنّه يَصِفُها بكل الـــصفات السيئة ، ويسخر منها سخرية شديدة وكأنها عدوة له ، يقول فيها : [4]

وَلـي فَرَسٌ لَيسَت شَكوراً وَإِنَّمـا ... بهـا تُـضرَبُ الأمثـالُ فـي العَـضِّ وَالـرَفسِ
تُعَربِدُ في وَقتِ الصَباح مِنَ الضِيا ... وَتَجفُـلُ فـي الآصـالِ مِـن شَـفَق الـشَمسِ
فَيـا لَيتَهـا عِنـدَ العَليـق جَفولَـةً ... كَما هِيَ مِنكارٌ مِنَ الحِسِّ وَالجِنسِ

---

(1) الجيفة : جثة الميت إذا أنتنت ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة ، جَيَفَ.

(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 140.

(3) سكاب : اسم فرس عبيدة بن ربيعة وغيره ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، ، مادة سَكَب.

(4) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 527-528.

فلَو شَرِبَت بالفَلسِ مِن كَفِّ حاتَمٍ لَأصبَحَ نَدماناً عَلى تَلَفِ الفَلسِ
وَلَو بَرَزَت في جَحفَلٍ تَحتَ عَنتَرٍ لَجُدِّلَ وَاِنفَلَّت جُيوشُ بَني عَبسِ

ما أقسى هذه السخرية وأشدها خصوصاً في البيت الأخير الذي يجعل فيه الشاعر هلاك عنترة مؤكّداً إذا ركبها ، وهزيمة جيوشه حَتْمّيةٌ إذا كانت هذه الفرس بين خيوله.

أما البهاء زهير فيجعل من فرسه مثالاً حيَّاً للمساوئ والعيوب ويرى أن ركوبها مثل ركوب المعصية ، يقول : [1]

وَفَرَسٍ عَلى المَسا وي كُلِّها مُحتَوِيَه
فَما مَساويها لِمَن عَدَّدَها مُنتَهِيَه
وَلَيسَ فيها خَصلَةٌ واحِدَةٌ مُستَوِيَه
يا قُبحَها مُقبِلَةً وَقُبحَها مُوَلِّيَه
مالِكُها مِن خَجلَةٍ كَأَنَّهُ في مَخزِيَه
مُستَقبَحٌ رُكوبُها مِثلُ رُكوبِ المَعصِيَه

يضرب الشاعرِ مَثَلاً على فقره وضيق حاله من خلال هذه الفرس ، فمن يقرأ الأبيات – يعي فوراً – أن مالك هذه الفرس في ضيق حالٍ شديد ، وإلا ما أبقى على هذه الفرس لحظةً واحدة .

ومن خلال ما سبق ، يمكننا أن نرى كيف استغل الشعراء المحسوسات من حولهم لبيان سوء أوضاعهم وضيق حالهم ، مستخدمين السخرية وسيلةً للكشفِ عن ذلك .

ويمكننا إدراك مدى براعة هؤلاء الشعراء الذين كانوا قادرين بفكاهتهم وسخريتهم على تمثيل شخصية ضعيفة ومضحكة في الحياة الواقعية ، جعلونا من خلالها – إذا جاز

(1) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 395.

القول- نضع يدنا على الجوانب الغريبة ونقاط الضعف الأكثر شذوذاً في هــذه الشخــصية [1]

التي من خلالها بينوا وضع مجتمعهم وحالاتهم الاجتماعية .

(1) ينظر : إسكاربيت ، روبير ، **الفكاهة** ، 40.

ثانياً : السُّخرية من البخل :

للشعراء في هذا العصر هجاءٌ كثير في البخل وفي الممدوحين الذين لم يعطوهم علـــى مدحهم ، فشعرهم قد أذلهم على أعتاب الأغنياء البخلاء ، فصاروا يتبرّمون ويشكون ضيقهم ، ويضجرون مما هُم فيه ، وبخاصةٍ البخل الذي كانَ ورآء إخفاقهم فـــي كـــسب رزقهـــم مـــن شعرهم، ووراء بقائهم في الفاقة ، ولذلك هاجموا البخل ، وسخروا من البخلاء ، حاثين النـــاس على العطاء[1] مثل قول الجزار : [2]

لقد رَضيَ الرّحمنُ عن كُلِّ مُنْفِقٍ ... فما بالُنا نلقى رضى اللهِ بالسَّخطِ
مَعيـبٌ علـى الإنـسانِ يعطيـه ربَّـه ... بغيـرِ حـسابٍ وهـو يحـسب مـا يُعطـــــــــــــــــــــي

يعيب الشاعر على النَّاس البخل ويذكرهم بأن الإحسان والعطاء والكرم أمورٌ رضـــي الله عن صاحبها . محاولاً إبعادهم عن طريق البخل و التقصير ، وإعادتهم إلى جادة الصواب حيث رضى الله .

ويتعجّب الجّزار في أبياتٍ أُخرى من مسألة البخل بقوله : [3]

إذا كـانَ لـي مـالٌ عَلَـام أصُـونَه ... وما سَادَ في الدّنيا من البخلِ دينُه
ومن كانَ في الدّنيا ذا يسارٍ فإنَّـه ... خليـقٌ لعمـري أن تَجـودَ يَمينَـه

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّنّاع وأرباب الحرف** ، 224.

(2) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 226/1.

(3) نفسه ، 229/1.

والجزّار كباقي شعراء الحرف دعا إلى احتراف الصنائع مهما كانت شـــاقة ، وعَـــدّها خيراً من إذلال النفس في سؤال الأغنياء البخلاء ، ولو كان عائد هذه الـــصنائع قلـــيلاً بـــرغم صعوبتها فهو في شعره يسخر من ممدوحيه ومن بخلهم [1] في مثل قوله : [2]

كيف لا أشكُر الجزراة ما عِشْـ ـتُ حفاظاً وأرفضُ الآدابا
وبها أضحت الكلاب تُرَجيـ ـني وبالشعر كُنت أرجو الكلابا

وفي المعنى نفسه يقول : [3]

لا تعبني بصنعة القصّابِ فهي أزكى من عَنْبر الآدابِ
كان فضلي على الكلاب فمذ مَدَ حتُ أديباً رجوت فضل الكلاب

إنَّه يهزأ من صنعة الشعر الكاسدة التي لا تستطيع توفير قوت يومه ، كما يهـــزأ مـــن بُخل الممدوحين ويشبههم في الكلاب ، وفي مقابل ذلك يمدح مهنة القـــصابة ، ومـــا زاد مـــن السخرية هو استخدامه التورية في لفظتي الكلاب .

وفي أبياتٍ أُخرى له نراه يهجو بخيلاً ساخراً منه بقوله : [4]

لا يَستَطيعُ يرى رغيفاً عِنْدهُ في البيتِ يُكْسَر
فلَو أنّه صلّى وحا شَاهُ لقال : الخبز أكبر
ولَهُ محلٌ في البغاءِ به تَقَدّم من تأخَّر

هنا يسخر الشاعر من كل مهجوّه الذي لا يطيق رؤية رغيف خبز مكسور في بيتـــه ، بل انه يعظم الرغيف حتى في صلاته ، ويقول في ذلك : [5]

طالَمَا كُنت قبلها تَحفظُ الْخُبْـ ـزَ ولكن بالبخلِ في الصندوق
ليتَ شعري ماذا تقولُ إذا ما رُمْتَ شتمي ، قُلْ لي : بأيّ طريق
عَلِمَ الله مَا مَضيتُ رَسُولاً قطُّ من عند ابنتي لِعَشيقي

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، أدب الصّنّاع وأرباب الحرف ، 183.

(2) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، 316/1.

(3) الحموي ، ابن حجّة ، خزانة الأدب ، 249.

(4) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، 318/1.

(5) الكتبي ، ابن شاكر ، فوات الوفيات ، 291/4.

لا ولاَ جئـــت بالرّجـــال إلـــى بيـــ ـــتي وكاسـرت عَـنْهُمُ فـي الـسّوق

ففي البيت الأول فقط يسخر من بخل مهجوّه الذي يحفظ الخبز في الــصندوق ، وفـــي الأبيات التي تليه يسخر من أخلاقه السّيئة وعاداته المتنافية مع الأخلاق والدين ، ويَرى محمود سالم محمد أن الجزار " أطلق لنفسه العنان فرمى صاحبه بالفاحشة والقيادة " [1] بعد أن رمـــاه بالبخل في البيت الأول .

أما الوراق فنحا منحى سابقه ، حيث شكا في شعره ممدوحيه ، وسَاءَل نفسه القناعـــة ما دام غيرَ قادرٍ على الوصول إلى مراده [2] ومن ذلك قوله : [3]

مَـــالي أذلُّ وللقناعـــةِ عِـــزَّةٌ أنجـو بهـا مـن ذِلَّـةٍ وهـوانِ
وأصـون وجهـي أن يُـذَلَّ لأوجـهٍ منحوتـةٍ مـن عـالم الـصّوانِ
والقـــومُ كالأصـــنام والإســـلامُ نزّهنـي عـن الأصـنام والأوثـانِ

يحث الشاعر نفسه على صيانة ماء وجهه من أن يُذلّ لأوجـــهٍ منحوتـــة مـــن عـــالم الصوان، والإسلام نزّهه عن عبادة الأصنام والأوثان ، مشيراً بذلك إلى عدم التـــذلل لهـؤلاء البخلاء وكأنه عبد لهم .

ولكنَّ الوراق يلقي اللوم على حظّه الضّعيف حين لا يستطيع لوم البخلاء على حرمانه فيقول : [4]

يَمْنَعُنـــــي بَاخِـــــلٌ وَسَـــــمْحٌ وَلـــيسَ لـــي مِنهُمـــا نَـــصِيرُ
وَغـــايَتِي أنْ ألُـــومَ حَظّـــي وَحَظّـــيَ الحَـــائِطُ القَـــصِيرُ

ويقولُ في المعنى نفسه : [5]

---

(1) أدب الصّناع وأرباب الحرف ، 123.
(2) ينظر : سلام ، محمد زغلول ، الأدب في العصر المملوكي ، 155/2.
(3) الصفدي ، الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، 234/1.
(4) العباسي ، إبراهيم ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، 154/1.
(5) العباسي ، إبراهيم ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، 155/1.

الباءُ والخاءُ من بختي قدِ اقتَرنـا ... بالبـاءِ والخـاءِ مـن بُخْـلِ لإنـسانِ
والـلام والتّـاء من هذا وذاك هُمَـا ... لتُّ المسائل عن أسبابِ حِرمـاني

فهو يقرن بخته مع بخل الناس ، ويسخر من هذا الاقتران بينهما الذي كان من أسباب حرمانه .

ومن أجمل ما قاله الوراق في السّخرية من البخل ، شعره في شخص دعاه إلى طعام يحتوي على خضارٍ معروف باسم " رجلهَ " [1] حيث قال : [2]

وأحْمَـقٍ أضـافنا بِبَقْلَـه ... لنـسبةٍ بينهمـا و وَصْلَـه
فمـن أقـلّ أدبـاً مـن سُـفْلِه ... قد مَدَّ فـي وَجْـه الـضيوفِ رِجْلَـه

التوريه واضحة في " رجله " ومغزاها بيان مدى بخل المُضيف وعدم احترامه لضيوفه ، وقد أسبغ الشاعر هذا الوصف في جوٍ من السخرية والمرح والإضحاك ، خصوصاً عندما بَنَى صِلَة ونَسَباً بين هذا الأحمق البخيل وطعامه المحتقر الذي لم يعجب الشاعِر .

أما البوصيري ، فقد أمعن في تصوير العاهات الأخلاقية التي كانت سائدة في عصره، لا سيما البخل الذي مورس عليه من الأصدقاء والأعداء على حَدّ سواء . [3]

ومن أطرف شعره سخريته من شيخٍ طغى عنده البخل على ما عداه من عيوب ورذائل ، حيث قال : [4]

إنْ جَهِلْتُمْ ما حَلَّ في ساحلِ الشيـ ... ـخ مِنَ الصّفع فاسْألُوا البَحَّارَهْ
قالـتِ البَغْلَـةُ التـي أوْقَعَتْـهُ ... أنـا مـا لـي على الغُبونِ مَرَارَهْ

---

(1) الرّجله : ضرب من الحمض ، وقوم يسمون البقلة الحمقاء الرّجلة ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة رَجَل.
(2) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 246.
(3) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 188.
(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 99.

وهُنا يبدأ الشاعر ببناء حوارٍ لطيفٍ طريفٍ حدث بينه وبين بغلة الشيخ التـــي شـــكت للشاعر تباريح بخل صاحبها وسوء معاملته وبخله [1] وجَعَل لبنة هـــذا البنـــاء خالـــصة مـــن السخرية حيث يقول : [2]

قلتُ : ما تَكْرَهِينَ فيه؟ فقالت : أيُّ بُخْــــلٍ فيـــــه وأيّ قتَـــــارَهْ
أنــا فــي البيْـتِ أشْـتَهِي كَـفَّ تِـبْنٍ وَمِـــنَ القُـــرْطِ أشْـــتَهِي نُـــوَّارَهْ

أما الحلي ، فيهجو بخيلاً وصل به البخل حدوداً خياليـــةً ، وقـــد بلـــغ الـــشاعر فـــي تصويرها مرتبة رفيعة ، حيث جاء بصورٍ فنّية متناهية الغرابـــة ولكنهـــا متناهيـــة البـــساطة والواقعية في آن واحد [3] يقول : [4]

لا يَعـــــرِفُ الحَمّـــــامَ لَكِنَّـــــهُ فـــي البَيـــتِ يَحمـــي المـــاءَ فـــي الـــــــــــــــــــــشَمسِ
إذا رَأى فـــــي قـــــدرِهِ لَحمَـــــةً تَـــلا عَليهـــا آيَـــةَ الكُرســـــي
يُجِـــــلَّ أن تُـــــدرِكَ رُغفانَـــــهُ حَـــواسُ مَـــن يَأتيـــهِ بـــالخَمسِ
بالـــسَمعِ وَالأبـــصارِ وَالـــشَمِّ قـــد تُـــدرَكُ دونَ الـــذَوقِ وَاللَمـــسِ

---

(1) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، <u>آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي</u> ، 189.

(2) البوصيري ، **ديوانه** ، 99.

(3) ينظر : نفسه ، 189.

(4) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 625.

ثلاث صورٍ أتى بها الشاعر للدلالة على مدى بخل مهجوّه ، ففي البيت الأول يــصف لنا كيفية تسخين الرّجل للماء حيث يحميه في الشمس ، وفي البيت الثاني يظهــر لنــا مــدى حِرص هذا البخيل وتقتيره حيث يتلو آية الكرسي على قطعة لحمٍ ليضمن حفظها ، وفي البيتين الأخيرين يؤكد لنا الشاعرِ عدم إدراك حاستي الذوق واللمس لرغفان هذا البخيل، وفــي تلــك الصور مبلغ السخرية من هذا البخيل وبخله اللامتناهي .

من خلال تتبعنا شعره لوجدنا أن للبخلاء فيه نصيباً من الهجاء والسخرية في أكثر من موضع ، حيث قال في شحيحِ الزاد : [(1)]

وَبَخيــلٍ يَنــالُ مِــن عَرضِــهِ النــا سُ وَلَكِــن رَغيفُــهُ لا يُنــالُ
كُــلَّ يَــومٍ يَــأتي بِحَــرفِ رَغيــفٍ كَهِــلالٍ لَــم يَــدنُ مِنــهُ كَمــالُ

فهذا البخيل لا يكترث إذا ما نال الناس من عرضه شريطة عدمِ نوال رغيفه بــل إنــه يفضل أن يمسَّ الناس بعرضه على أن يمسّوا رغيفه ، ويسخر الحلي مــن بخلــه إذ لا يــأتي بالرّغيف كاملاً وإنما بقطعةٍ صغيرة ، ليبين أن هذا البخيل بخيلٌ مقترٌ حتى على نفــسه ، ثــم يرسم الشاعر لنا صورة هذه القطعة من الخبز على سفرة هذا البخيل ، وهي صورة مضحكة، حيث يقول : [(2)]

مُستَقِرٌّ فـي وَسـطِ سُـفرَتِهِ الـزَر قــاءِ لا يَعتَريــهِ مِنــهُ زَوالُ
فَتَعَجَّــبُ مِــن سَــماءٍ بِــأَرضٍ كُــلَّ يَــومٍ يَلــوحُ فيهــا هِــلالُ

وله شعر طريف في رجلٍ بخيلٍ يُدعى ابن سنان ، وفيه يُجَسّد رغيف الخبز ويحاوره ليبينْ لنا من خلال هذا الحوار الخيالي مدى بخل مهجوّه ، وذلك في قوله : [(3)]

لَو تَراني مِن فَوق طودٍ مِنَ الجو ع أنــاجي رَغيــفَ نَجـلِ سِـنانِ

---

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 535.

(2) نفسه ، 536.

(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، ، 536.

كُلَّمــا قُمــتُ قــائِلاً : أرنـــي وَجـــ ـــهَكَ نــادى وَعِزَّتــي لَـن تَرانــي

أما ابن دانيال فَسَخِر من شخص يُدعى علي شير [1] مبيناً مدى بخله بقوله : [2]

إذا مـــــا كُنْـــــتَ مَتْخومـــــاً فكُـــنْ ضَـــيْف عَلـــي شـــير
فمـــا يَخـــرُجُ منـــهُ الخُبْـــ ـــــــزُ إلاّ بالمناشـــــــير

فالشاعر يحذر من زيارة وضيافة هذا المدعو علي شير إلا إذا كان المضاف متخوماً، لإنه لا سبيل لأكل الطعام عنده . وقال يهجو : [3]

ألا بَلِّــغ المُـصْفَرَّ عَنِّــي وإنْ يَكُـنْ أخَسَّ الـورى قـدْراً لَـدَيَّ وأحقـرا
تباخَلْتَ حتّى صِرْتَ أصفَرَ مُنْتَنـاً فكنـــتَ جـــديراً أنْ تُلَقّـــبَ ...[4]

يرى ابن دانيال أن تباخل هذا الرّجل أدى إلى اصفراره ونتنه حتى صـــار جـــديراً أن يلقب الألقاب القبيحة المقززة .

أما ابن الوردي فكان يكره البخلاء كثيراً ويمقتهم كما هو بادٍ في شعره ، لذلك صَـــبَّ عليهم جامَ غَضبه فهجاهم وسخر منهم ومن هذه الصفة القبيحة ، ومن ذلك سخريته من بخيـــل يقطّع بالجوع أكباد ضيوفه ، إذ يحلّهم على سطح داره ويفرّجهم نجوم الـــسَّماء ، يقـــول فـــي ذلك:[5]

أحـــلَّ الـــضيوفَ علـــى ســـطحه وفـــرَّجهم فـــي نجـــومِ الـــسما
وقطَّـــــعَ بـــــالجوع أكبـــــادَهم "وإنْ يـستغيثوا يغـاثوا بمـا"[6]

وقال في بخلِ أهل العراق : [1]

---

(1) يبدو أن علي شير هو لقب لأحد أصحاب الشاعر ، ينظر حاشية **المختار من شعر ابن دانيال** للصفدي ، 134.

(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 134.

(3) نفسه ، 246.

(4) لم يرد ذكر الكلمة في **المختار من شعر ابن دانيال** ، وتقديرها " الخرا " وبها يستوي المعنى والوزن .

(5) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 284.

(6) اقتباس من الآية الكريمة : (bÎr (qèŠó„ (qê6óã JÎ 8 @ö03$) ، الكهف ، آية 29.

وفـــي بغـــدادَ أقـــوامٌ كـــرامٌ **ولكـــنْ بالـــسلام بـــلا طعـــامِ**
فمــا زادوا الــصديقَ علــى ســلامٍ **لهـــذا سُـــمِّيَتْ دارَ الـــسلامِ**

وظف التراث والاسم لقضية مهمة في السخرية .

ولكنه في النهاية يحذر من البخل والحرص على المال بتشبيه المال بالحية التي إن لـــم تقتلها قتلتك في قوله : [2]

أيهـــا الباخـــلُ فيمـــا قـــد مَلَـــكْ **أنـــتَ للمـــالِ ولـــيسَ المـــالُ لـــكْ**
فـــاحترسْ مـــن حيَّـــةِ المـــالِ فـــــــــــــــــــــــلا **بـــــدَّ أنْ تقتلَهـــــا أو تقتُلـــــكْ**

وبهذه الأبيات المليئة بالحكمة أختم حديثي عن السخرية من البخل .

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 253.
(2) نفسه ، 204.

ثالثاً : السُّخرية من الحمق والثقل :

الحمق والثقل صفتان مذمومتان ، لا يرغب المرء بأن تُنسبان إليه ولا يحب الاختلاط بأصحابها ، فالأولى تعني قِلّة العقل [1] وقليل العقل صعبٌ التفاهم معه ، حذارِ من الاختلاط به ، يقول البوصيري في هذا المعنى : [2]

ولا تَثِقْ بوَفاءٍ مِنْ أخِي حُمُقٍ … فالحُمْقُ دَاءٌ عَياءٌ بُرْؤُه عَسِرُ

ويوافقه الرأي في عدم مصاحبة الحمقى صفي الدين الحلّي ، الذي يَرى أنّ مصاحبة اللبيب للأحمق قد تصيبه بالعدوى ، وقد تضر مصاحبة اللبيب للأحمق به ، ذلك لأن بينهما اختلافاً كبيراً ، فالجهل يتنافى والعقل ، يقول : [3]

إذا بُلي اللَبيبُ بقُربِ فَدمٍ … تَجَرَّعَ مِنهُ كاساتِ الحُتوفِ[4]
فَذو الطبعِ الكَثيفِ بغَيرِ قَصدٍ … يُضِرُّ بصاحِبِ الطبعِ اللَطيفِ
وَذاكَ لِأَنَّ بَينَهُما اِختِلافاً … يُنافي العَقلَ بالجَهلِ العَنيفِ

أما إذا أردنا تتبع السّخرية من الحمق عند الشعراء فإن البهاء زهير صاحب الهجاء الرقيق والاتجاه التهكمي خير من يمثلها ، حيث إن الحمق كان من أكثر الصفات التي تثيره وتدفعه إلى الهجاء والسخرية [5] يقول في شخصٍ ضعيفٍ : [6]

مـا العَقلُ إلّا زينَةٌ … سُبحانَ مَن أخلاكَ مِنهُ
قُسِّمَت عَلى الناسِ العُقو … لُ وَكانَ أمراً غِبتَ عَنهُ

إن كان العقل غائباً عن المهجو ، لا يغيب علينا ما في هذه الأبيات من سخرية وتهكمٍ صاغها الشاعر بأسلوبه الفكه المضحك ، ويهجو شخصاً بُلي به بقوله : [1]

---

(1) ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة حَمُق.
(2) البوصيري ، **ديوانه** ، 119.
(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 544.
(4) الفدم : هو الغليظ الأحمق ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة فَدَم.
(5) ينظر : بدوي ، أحمد أحمد ، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** ، 266.
(6) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 361.

وَذو عَجَـــــــبٍ إذا حَدَثْـــــــــــ ـــــتَ عَنـــهُ جِئــتَ بالعَجَــبِ
وَمـــا يَـــدري -بِحَمـــدِ الـــــ ـــلَهِ- مـا شَـعبانَ مِـن رَجَـبِ
وَمـــا أبـــصَرتُ أحمَـــقَ مِنــــ ـــهُ فـــي عُجـــمٍ وَلا عَـــرَبِ
وَأحمَـــقَ قـــد شَـــقيتُ بـــهِ بــــــلا عَقــــــلٍ وَلا أدَبِ
فـــــلا يَنفَـــكُّ يَتبَعُنـــــي وَإن أمعَنـــتُ فـــي الهَـــرَبِ
كَـــأنّي قـــد قَتَلـــتُ لَـــهُ قتيـــلاً فَهُـــوَ فـــي طَلَبـــي

يصف الشاعر لنا هذا الأحمق الذي لم يُبصر أحمق منه ، فهو لا يدري ، شعبان مـن رجب ، بُلي الشاعر به وعانى من قلّة عقله وقلّة أدبه ، وما يزعج الشاعِر أن هـذا الأحمـق ثقيل أيضاً ، فهو يتبع الشاعر دائماً وإن أمعن في الهرب ، ويأتينا بـصورة سـاخرة لطيفـة لموقف هروبه من هذا الثقيل إذ يصوّر نفسه قاتلاً وهذا الثقيل طالباً للثأر لقتيلـه الـذي قتلـه الشاعر ويتحدث عن ثقيلٍ آخر بقوله : [2]

وَثَقيـــــــــــلٍ كَأنَّمـــــــــا مَلَـــــكُ المَـــــوتِ قُربُـــــهُ
لَـــيسَ فـــي النـــاسِ كُلُّهُـــم مَـــــن تَـــــراهُ يُحِبُّـــــهُ
لَـــو ذَكَـــرتَ اِســـمَهُ عَلـــى مـــاءٍ مـــا ســـاغَ شُـــربُهُ

أيُّ مقتٍ للثقلاء يفوق هذا المقت ، وأي سخرية مهنم أشدُّ من هـذه ، يبلـغ الـشاعر الدرجة القصوى في المغالاة والمبالغة حين يرى ملك الموت قرب هذا الثقيل للدلالة على كره الناس له ، ويبلغ مداه حتى يجعل الماء غير مستساغٍ شربه لو ذكر اسم هذا الثقيل عليه.

والبهاء كباقي الناس " فنحن نكره الثقلاء ، ولا نُحبّ رؤيتهم ، ولا نرضى أن نكـون منهم ، فيا ويل من كان ثقيلاً على الناس ! في كلامه .. في زيارتـه .. فـي أفعالـه ! إنهـم

---

(1) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 44.
(2) نفسه ، 22.

يكرهونه ... يتمنون انصرافه ... يتملكهم الضيق عندما يرونه " [1] وما كان البهاء زهير في هذه الأبيات إلا لسان حالٍ للناس كلهم.

ويصفه لنا في موضع آخر بقوله : [2]

رُبَّ ثقيلٍ لِبُغضِ طلعتِه	**أخشاهُ حَتّى كَأنَّهُ أجَلي**
وَكُلَّما قُلتُ : لا أشاهِدُهُ	**ألقاهُ حَتّى كَأنَّهُ عَمَلي**

وبناءً على كره الشاعر لذاك الثقيل ، يُخلق صراع في داخله ، وتتولّد تساؤلات عن كيفية الخلاص منه ، يسوقها الشاعرِ في إطارٍ ساخرٍ طريف في قوله : [3]

كَيفَ لي مِنكَ خَلاصٌ	**أينَ لي مِنكَ سَبيلُ**
حارَ أمري فيكَ حَتّى	**لَستُ أدري ما أقولُ**
أنتَ وَاللَهِ ثقيلٌ	**أنتَ وَاللَهِ ثقيلُ**

وهذه التساؤلات نابعة من نفسٍ تكره الثقل والثقلاء ، وأخيراً يصرح الشاعرِ لهذا الثقيل بعدما أعياه التلميح ، يقول : [4]

بحَقِّ اللَهِ متِّعـ	**ـني مِن وَجهِكَ بالبُعدِ**
فما أشوَقَني مِنكَ	**إلى الهجرانِ وَالصَدِّ**
فما تَصلُحُ لِلهَزلِ	**وَلا تَصلُحُ لِلجَدِّ**
وَماذا فيكَ مِن ثِقلٍ	**وَماذا فيكَ مِن بَردِ**
فَلا صُبِّحتَ بِالخَيرِ	**وَلا مُسّيتَ بالسَعدِ**

أما ابن الوردي فيحذّر من مصاحبة الثقلاء الغِلاظ بقوله : [5]

فلانُ فظٌّ غليظٌ	**إليكَ عنهُ إليكا**
لئنْ قضيتَ عليهِ	**ليقضيَنَّ عليكا**

---

(1) سليم ، محمد ابراهيم ، <u>البهاء زهير ، شاعر مصر في العصر الأيوبي</u> ، 46.

(2) البهاء ، زهير ، <u>ديوانه</u> ، 256.

(3) نفسه ، 274.

(4) نفسه ، 89.

(5) ابن الوردي ، <u>ديوانه</u> ، 277-278.

ولعلّ أجمل ما قيلَ في السّخرية من الثقلاء ، ما قاله صفي الدين الحلي في هجاءِ ثقيلٍ جهم الوجه حيث يقول : [(1)]

وافـى وَقـد شَـفَعَ التَقطُّـبُ وَجهَـهُ	**وَطحـا بهـا مَـرَحُ التَكَبُّـرِ فـانِثنى**
يَبــدو فتَقذِفُــهُ النُفــوسُ لِثِقلِــهِ	**فتَــراهُ أبعَـدَ مــا يَكـونُ إذا دَنــا**
فطَفِقـتُ أنـشِدُ إذ بَـصُرتُ بِحُمقِـهِ	**بَيتـاً جَعَلـتُ الـشَطرَ مِنـهُ مُـضَمَّنا**
يــا ثِقـلَ صـورَتِهِ وَخِفَّــةَ رَأسِـهِ	**هَلّـا نَقَلـتِ إلـى هُنـا مِـن هاهُنـا**

تكمن السخرية من هذا الثقيل في عمليةٍ حيويةٍ أتى بها الشاعر تتمثل في قذف النفوس له لشدة ثقله ، وما أحلى الصورة ذات الأبعاد التي تصوره أبعد ما يكون إذا دنا .

ومن الجدير ذكره أن الشاعر ربَط بين الثقل والحمق في أبياته وتمنـى لـو تعكـس الصورة لدى الثقيل الأحمق ، فتغدو صورته خفيفة الظل وعقله ثقيل ... ولكن هيهات ، وهمـا صفتان كما قلنا سابقاً برؤهما صَعب وعَسير .

رابعاً : السُّخرية من الأنساب :

سلَّط بعض الشعراء سخريتهم لا على شكل المهجو ومظهره ، ولا على سخـصيته ، بل جعلوا سهامَ سخريتهم تصب على ادّعاء بعضهم النسب الرّفيع ، وهم حِلٌّ منه .

وقد تكون السخرية بدافعٍ ديني أو سياسي ، ونجد ذلك عند البوصيري الذي هجا بعض الرّعاع الذين عاثوا فساداً في زمانهم ، واصفاً سوء أخلاقهم وخبثهم وعميم أذيـتهم ، والأهـم من ذلك كله أنه سخر من خِسّة أنسابهم [(2)] وكل تلك السخرية منهم كانت نابعة مـن غـضبه عليهم لأنهم عصوا أوامر السلطان - فيما يبدو – وتمرّدوا عليه يقول فيهم : [(3)]

عَصَتْ عليـه أنـاسٌ لا خَـلاقَ لَهُـمْ	**الـشُّؤْمُ شِـيمَتُهُمْ واللُّـؤْمُ والـدَّبَرُ**

---

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 532.

(2) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 240.

(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 138-139.

تَلَثَّمُـوا ثـمَّ قـالوا إننـا عَـرَبٌ   فقلـتُ لا عَـرَبٌ أنـتمْ وَلا حَـضَرُ
ولا عُهُـودَ لكُـمْ تُرْعَـى ولا ذِمَـمٌ   ولا بُيُـوتُكُم شَـعْرٌ وَلا وَبَـرُ

فهو يرفض ادعاء هؤلاء المتمردين العصاة النسبة إلى العرب ، ويُكمل سخريته مـنهم بوصفهم بالأحجار والحفر في طريق الناس حيث يقول : [1]

يَـشْكُو جميـع بنِـي الـدُّنيا أذِيَّـتَهُمْ   فهـمْ بطُـرْقِهِمُ الأحجـارُ والحُفَـرُ
مِـنْ لُـؤْمِ أحْـسَابهِمْ إنْ شـاتَمُوا رَبحـوا   وَمِنْ حَقارَتِهِمْ إنْ قاتَلوا خَسِروا

وفي البيت الثاني يسوق الشاعر لنا دليلاً على لؤم أحساب هؤلاء القوم وخسة أنسابهم، فهم في حرب السباب والشتيمة يربحون وفي حرب السيوف يخسرون وذلك دليلٌ على جبـنهم وخسّتهم .

ويسخر صفي الدين الحلي من علويّ شرير ، يَدَّعي النسبة إلى الإمـام علـي **y** ، فيقول فيه : [2]

قـالَ النَبـيُّ مَقـالَ صِدقٍ لَـم يَـزَل   يَجـري عَلـى الأسـماع وَالأفـواهِ
مَـن غـابَ عَـنكُمُ أصـلُهُ فَفِعالُـه   تُنبـيكُمُ عَـن أصـلِهِ المُتَنـاهي
وَسَفَرتَ عَن أفعالِ سوءٍ أصبَحَت   بَـينَ الأنـامِ قليلَـةَ الأشـباهِ
وَتَقـولُ إنَّـكَ مِـن سُـلالَةِ حَيـدَرٍ   أفَأنـتَ أصـدَقُ أم رَسـولُ اللَـهِ

يفنّد الشاعر دعوى هذا الرجل النسبة إلى سلالة علي **y**، ويجعل نفسه مُحامياً للدفاع عن شرف هذا النسب الذي لا يجوز لأيّ كان الانتساب له وهو حِـلٌّ منـه ، ويجعـل دليلـه وبرهانه على كذب ادعاء هذا الرجل مقال صدقٍ للرسول **r** الذي يرى أن الأفعال تنبئ عـن أصل الإنسان ونسبه ، وأفعال هذا المهجو ليس لها شبيه في قبحها وسـوئها ، فكيـف ينتمـي وينتسب ذو الأفعال الشائنة إلى سلالة عريقة كسلالة عليٍ **y** !؟

---

(1) نفسه ، 139-140.

(2) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 526.

وفي موضع آخر يسخر الحلي من رجلٍ يُدعى عيسى ليس له نسبٌ بقوله : [1]

سُمّيتَ عيسى ولَم تَظفر بمُعجِزَةٍ   ولَم تُشابههُ في عِلمٍ ولا حَسَبِ
ولا أتَيتَ بشَيءٍ من فَضائِلِهِ   إلّا بأنَّكَ من أمٍّ بغَيرِ أبِ

لعنة هذا الملقوط أنه جاء إلى الدنيا بغير أب ، ولكن لعنةٌ أكبر أصابته حين سخر الشاعِر من عدم وجود نسبٍ ينتمي إليه مستخدماً اسمه وسيلةً للسّخرية ، فهو لم يظفر بمعجزة كمعجزة عيسى عليه السلام ، ولم يشابهه في العلم والحسب ، وليس فيه خصال كخصال سيدنا عيسى ، وليس يجمعه به سوى الاسم وكونه من أمٍ بغيرِ أب ... وحتى في هذه شتّان بينهما .

خامساً : السُّخرية من التناقض في حياة الشخص :

السخرية من التناقض في حياة الشخص تتمثل في السّخرية من الشخص نفسه ، إذا كان في شكله قيمة تغاير جوهره الحقيقي [2]. فيقول ابن الوردي في هذا المعنى : [3]

لئنْ طهَّرتَ ثوباً دونَ قلبٍ   فطُهرُ الثوبِ دونَ القلبِ حَيْضُ

ومن الشعراء الذين سخروا من التناقض في حياة الشخص ، البهاء زهير ، الذي وصف طائفة من الناس بقوله : [4]

كَم أناسٍ أظهَروا الزُهدَ لَنا   فَتَجافوا عَن حَلالٍ وَحَرامِ
قَلَّلوا الأكلَ وَأبدَوا وَرَعاً   وَاِجتِهاداً في صِيامٍ وَقِيامِ
ثُمَّ لَمّا أمكَنَتهُم فُرصَةٌ   أكَلوا أكلَ الحَزانى في الظَلامِ

يتحدث الشاعر عن أناس أخفوا ما في صدورهم ولبسوا ثوب النفاق ، فأظهروا الزهد والورع واجتَهدوا في أقوالهم وأفعالهم ، ولكنّ ذلك لم يكن من أخلاقهم في شيء ، ودليله أنهم لمّا أمكنتهم فرصة أكلوا في الظلام ليخفوا حقيقتهم عن الناس .

---

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 530.

(2) ينظر : عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، 106.

(3) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 251.

(4) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 238.

وعلى ما يبدو فأن إظهار الورع وادّعاء التقوى كان يومئذٍ من الوسائل التي يتخـــذها الناس للوصول إلى آمالهم في الحياة الدنيا [1] متناسين الحياة الآخرة .

ولكن هذه الخدعة لم تنطل على الشاب الظريف الذي كشف زيف بعضهم وادعـــاءَهم حيث يقول فيهم : [2]

وصــالحين رأيـت الخمـر عنـدهم قـد حلّلـوه بـلا خـوف ولا حَـذَرِ

فهو يتحدث عَمّن ينسبون أنفسهم إلى الصلاح ويدَّعون التقوى ، ولكنهم يحللون الخمر بلا خوفٍ ولا حذر وهذا يتنافى مع ما سبق .

أما ابن دانيال فيمحور السخرية حول نفسه ، إذ يجعل من شخصيته نموذجاً لمن يدّعي التدين ، ويخفي حقيقته خلف ستار التقوى ، فيكون ظاهرهم متنافياً مع جوهرهم ، يقول : [3]

وَلَمـا صِـرتُ بـينَ النـاسِ ألحـى تَعَلَمـــتُ الفُجــورَ مَــعَ المحـــالِ
أدورُ علــى بيــوت القَحْـبِ لَـيْلاً وأنْهَـــقُ كـــالحمير وكالبغــــالِ

فمن المعروف أن اللحية دليل على الورع والتقوى إن أَطلقها المرء . ولكنها هُنا ستارٌ اتخذه الشاعرِ لإخفاء أفعاله المشينة القذرة التي يمارسها ليلاً .

ويهجو الخياط الدمشقي شخصاً يدَّعي الحسن ساخراً من كذب ادعائه مبّيناً التنـــاقض في شخصيته ، حيث يقول : [4]

كم تظهر الحسن البديع وتَدّعي وبياضُ وجهك في النـواظِرِ مُظْلِمُ

---

(1) ينظر : بدوي ، أحمد أحمد ، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** ، 283.

(2) الشاب الظريف ، **ديوانه** ، 166.

(3) حمادة ، إبراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 193.

(4) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 302/4.

ويحدثنا ابن دقيق العيد عن رجل يظنّه الناس عالماً فاضلاً ، فأكرموه بما يرتـضي ، فيسخر الشاعر من ذلك مبيناً كذب ادعائه ويسخر من تعارض المانع والمقتضي بقوله : [1]

قـالوا فـلانٌ عـالمٌ فاضـلٌ ... فـأكرمُوهُ مثلمـا يَرْتـضي
فقلـتَ لمـا لـمْ يكـنْ ذا تقـىً ... تَعَـارَضَ المـانعُ و المقتـضي

سادساً : السُّخرية من إخلاف الوعد :

إخلاف الوعد خلق سيء عدّه الإسلام علامة من علامات النفاق ، لذلك لـم يتهـاون الشعراء مع أصحاب هذه الخلق ، بل انبروا في تتبع أصحابه وكشف مواقفهم .[2]

وما أصعبَ إخلاف الوعد ، وتخييبِ الظّن حين يكون من الأصدقاء ، الـذين تُرتجـى منهم النّصرة ، وهذا ما حَدَث مع صفي الدين الحلي الذي وعده صديق بنصرته في واقعة لـه وأخلف ، يقول : [3]

وَعَـدتَ جَمـيلاً وَأخلَفتَـهُ ... وَذَلِـكَ بِـالحُرِّ لا يَجْمُـلُ
وَقُلـتَ بِأَنَّـكَ لـي ناصِـرٌ ... إِذا قابَـلَ الجَحفَـلَ الجَحفَـلُ
وَكَـم قـد نَـصَرتُكَ فـي مَعـرَكٍ ... تَحَطَّـمُ فيـهِ القَنـا الـذُبَّلُ[4]

فالشاعر يُنكر على صديقه عدم الوفاء بالوعد ، وهو الذي نصره فـي معركـة لـه ، ويخبره أن صفة إخلاف الوعد غير مُسْتَحبّةٍ في الرجل الحر .

ثم يقول له بأن قدر الرّجال يُعْرَف من خلال صفاتهم ، فلا يتساوى الـذي يقـول ولا يفعل مع الذي يفعل ما يقول ، ويضرب له مثلاً قِصّةً غاية في الجمال عن حوارٍ جـرى بـين

---

(1) الحنبلي ، ابن عماد ، **شذرات الذهب** ، 13/8. والصفدي، **الوافي بالوفيات**، 199/4.

(2) ينظر : عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، 107.

(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 40.

(4) القنا الذابل : الرمح الدقيق اللاصق ، والجمع ذُبَّل ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة ذَبَل.

بلبلٍ وصقرٍ، يُنطق فيها كلّ منهما ، ويسوق على لسان الصقر الحكمة مبطنةً بالسخرية ممــن يقولون مالا يفعلون ، ويعدون ويخلفون وعودهم ، يقول : [1]

بِـــذا يَتَفــاوَتُ قَــدرُ الرجــا ... لِ فَــــتَعلَمُ أَيُّهُــــمُ الأَكمَــــلُ
كَمــا قالَــهُ الــصَقرُ فــي عِــزَّةٍ ... بِــــهِ حــــينَ فــــاخَرَهُ البُلبُــــلُ
وَقـــــال : أراكَ جَلـــــيسَ المُلـــــوكِ ... وَمِــن فَــوق أيــديهِمُ تُحمَــلُ
وَأَنـــتَ كَمــا عَلِمــوا أَخــرَسٌ ... وَعَـن بَعـضِ مـا قُلتُـهُ تَنكُـلُ[2]
وَأُحــبَسُ مَــع أَنَّنــي نــاطِقٌ ... وَقَـــدرِيَ عِنـــدَهُمُ مُهمَـــلُ
فَقـــالَ صَـــدَقتَ وَلَكِـــنَّهُم ... بِـــذاكَ دَروا أَنَّنـــي الأَفـــضَلُ
لِأَنّــي فَعَلــتُ وَمــا قُلــتُ قَــطُّ ... وَأَنـــتَ تَقـــولُ وَلا تَفعَـــلُ

وقال كذلك في هجاءِ شخص ماطل الوعد ساخراً منه : [3]

لَمّـا تَطـاوَلَ بـي إِفـراطُ مَطلِكَ لـي ... وَضـاعَ وَقتِـيَ بَـينَ العُـذرِ وَالعَـذَلِ
أَيقَنـتُ أَنـك لَـستَ إِنـساناً لِفِعلِـكَ ... لِقَولِـهِ خُلِـقَ الإِنـسانُ مِـن عَجَـلِ[4]

ينفي الشاعر صفة الإنسانية والانتماء للبشر عن ماطِل الوعد ، مستعيناً بالآي القرآني لبرهنة كلامه وهذا مبلغ السخرية من ماطل الوعد ومخلفه بأنه لا يُعَدّ إنساناً .

أما ابن الظهير الإربلي ، فأتى على الحديث عن إخلاف الوعد من خلال حديثه عــن صديقين له أخلافاه الوعد وكذبا عليه ، فسخر منهما ومن مواعيدهما بقوله : [5]

مواعــــد الفخــــر والــــشهاب ... أكــذب مــن لامــع الــسراب
أحـــسنت بالـــسيدين ظنـــاً ... فكـــان نقبـــاً علـــى خـــراب
كـــم أحلفـــاني فخلفـــاني ... إذ كنـــت غـــرّاً علـــى التّـــراب

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 41.

(2) نكل ينكل عما قاله نكص وجَبُن ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة نَكَل .

(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 529.

(4) تشير إلى الآية الكريمة : " [illegible] " ، الإسراء ، آية 11.

(5) الإربلي ، ابن الظهير ، **ديوانه** ، 29.

يتحسر الشاعر على إحسانه الظن بهذين السيدين لأن مواعيدهما أكــذب مــن لامــع السراب ، ولذلك ينفي الشاعِر عنهما صفة الأصحاب ويتحرر من هذه الصداقة ، بقوله : [1]

راغـا وزاغـا ولـيس هـذا الـــ ـــخداعُ مـن شـيمةِ الأصـحابِ[2]

(1) نفسه ، 29.

(2) راغ خادَع ، وراوغه خادعه ، وزاغَ عن الطريق عَدَل عنه ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة رَوَغ ، ومادة زَوَغ.

سابعاً : السُّخرية من مفاسد إجتماعية وأخلاقية أخرى :

تحدَّث الشعراء في هذا العصر عن المفاسد الاجتماعية والأخلاقية وشيوع الفساد ، وتدني الأخلاق ، بأسلوبٍ فيه كثير من التّقية وشيء من السّخرية المبطنة ، ممزوجةٌ أحياناً بالمرارة والألم الواضحين . [1]

ومن المفساد الأخلاقية التي شاعت في العصر ، الشذوذ ، فقد اتّخذ الشعراء منه مادة للسخرية والتهكم [2] ومن ذلك سخرية الورّاق من رجلٍ فتنه حبّ العبيد إذ يقول : [3]

ماكنتُ أعرفُ في فلانٍ حالةً ... تدعو لحبِّ الأسود الغربيب[4]
حَتّى رأيتُ مَحَلَّ سَعْدٍ عِنْده ... فرأيتُ كلّ غريبة وغريب
ورأيته فرحاً به في غايةٍ ... ومُقطّباً لي غاية التَّقطيب

يفضح الشاعر أمر هذا الشاذ المفتون بحب العبيد بلغةٍ ساخرةٍ تهكمية ، سرعان ما يصيب الشاعر بها نفسه ، ساخراً من كونه برغم بياض لونه في خليع مشيب ، مبرراً لذاك الرّجل حبّه للعبد الأسود إذ لا يزال صغيراً يافعاً ، يقول : [5]

أوليسَ سعد أسودا غضّ الصِّبا ... أولَسْتُ أبيض في خليع مَشِيب

ويتحدث ابن نباته المصري عن هذه المفسدة الأخلاقية المتمثّلة باللواط والشذوذ ، مضمّناً من بيت جرير [1] الذي يُعدُّ أمدح بيتٍ ليبدّدَ عنه هذه الهالة ، من خلال إعادة بعثه في إطارٍ من السخرية وجوّ من التهكم قتلَ فيه روح المديح .

وذلك بقوله : [2]

---

(1) ينظر : أمين ، بكري الشيخ ، **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني** ، 146.

(2) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ، 240.

(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 143/3.

(4) الغربيب : شديد السواد ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة غَربَ .

(5) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 143/3.

أقــولُ لمعــشرٍ جُلَــدوا وَلاطُــوا وبــاتُوا عــاكفينَ علــى المــلاح
لأنــتم خيــرَ مــن رَكِــبَ المَطايَــا وأنـــدىَ العَــالَمينَ بُطــونَ راحِ

فهو يتهكّم منهم مستخدماً (المدح في معرض الاستهزاء) [3] حيث يسخر من هــؤلاء القوم الذين عكفوا على الملاح ، ولاطوا رغم أنهم جُلدوا ، وأصروا على معصيتهم ، فــوارى بقوله "خير من ركب المطايا " لأنّهم أصروا على ركوب المعصية .

كما تحدّث الشعراء عن تعاطي الحشيشة ، ووصفوها ساخرين ممن يتعاطاها لأنــه لا يُصيبه منها إلا المرض والإعياء ، يقول الشاب الظريف في ذلك . [4]

مَـا لِلْحَشيـشَةِ فَـضْلٌ عِنْـدَ آكِلِهَـا لَكِنَّـهُ غَيْـرُ مَـصْرُوفٍ إِلـى رُشْـدِهْ
صَـفْرَاءُ فـي وَجْهِـهِ خَـضْرَاءُ فـي فَمِـــــــــــــــــــــــهِ حَمْرَاءُ في عَيْنِهِ سَوْدَاءُ في كَبدِهْ

وفي مَوضع آخر يسخر ممن يشربها وحاله بعد شربها ، إذ يصبح كالفرخ الملقى على الأرض منتوف الرّيش مقتولاً من السّكر ، يقول : [5]

هَـــذَا الفَقِيـــرُ الَّـــذِي تَـــرَاهُ كَـــالفَرْخِ مُلْقَـــىً بِغَيْـــرِ رِيـــشِ
قَـــدْ قَتَلَتْـــهُ الحَـــشِيشُ سُـــكْراً وَالقَتْـــلُ مِـــنْ عَـــادَةِ الحَـــشِيشِ

ويذكر ابن دانيال الاصفرار والانسطال اللذين ينتجان عن تعاطي الحشيش ، ولكن في معرض حديثه عن محبوبه الذي أدمنها ، مبرراً له تعاطيه الحشيش على اعتبار أنه غــزال ، يقول: [6]

حبّـــيَ مـــا عابَـــهُ أصـــفرارُ كـــــلاّ ولا شـــــانَهُ انـــــسطال
ومـــا أرتعـــى الحـــشيش إلاّ لتَعلمـــــوا أنّـــــه غَـــــزالُ

---

(1) جرير ، **ديوانه** ، 85. أَلَستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطايا وَأَندى العالَمينَ بُطونَ راحِ
(2) ابن نباته ، **ديوانه** ، 120.
(3) ابن أبي الإصبع ، **تحرير التحبير** ، 568.
(4) الشاب الظريف ، **ديوانه** ، 144-145.
(5) نفسه ، 190.
(6) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 228-229.

ويبدو أن هذا الداء قد انتشر في مجتمعات النساء ، ولعل ابن الــوردي يثبــت ذلــك بقوله:[1]

مليحـــــــــة مـــــــــسطولةٌ	**إنْ لمتُهـــــا فيمـــــا جـــــرى**
تقـــــــول كـــــــلُّ ظبيــــــةٍ	**ترعـــى الحـــشيشَ الأخـــضرا**

يتفق ابن الوردي مع ابن دانيال من حيث اعتبار من يتعــاطى الحــشيش كــالغزلان والظباء، إذا كان الحديث عن الأحبة والمِلاح ولكنه لم ينف عن هذه المليحة التي يتحدث عنها انسطالها وغياب ذهنها ساخراً من حالتها .

وقد سخر بعض الشعراء من السّرقة ، يقول شمس الدين بن الصَّائغ : [2]

مـــن يَكُـــن فـــي الأصـــلِ لِـــصّاً	**لـــــمْ يكُـــــن قـــــطّ أمينـــــا**
فثقـــــوا منـــــــه بـــــــرَهنٍ	**أو خـــــذوا منـــــه يَمينـــــا**

أي اقطعوا يده اليمين.

أما الحلّي فيصفُ سارقاً بارعاً ، ولكنه يقلُّ براعةً عن الشاعر الذي استطاع النفاذَ إلى مستودع السّر ، حيث تتكون الحقائق وتنسج الهيئات والعناصر [3] يقول : [4]

لَـــو عايَنَـــت مُقلَتُـــهُ دُخنَـــةً	**لَاِســـتَرَقَ اللُـــبَّ مِـــنَ القِـــشرِ**[5]
وَلَـــو فَلاهـــا بَعـــدَهُ ناقِـــدٌ	**لَـــم يَـــرَ فيهـــا أَثَـــرَ الكَـــسرِ**
يَكـــادُ أَن يَـــسرِقَ طيـــبَ الكَـــرى	**مِـــن راقِـــدِ اللَيـــلِ وَلا يَـــدري**
هَكَـــذا وَلَـــو شـــاءَ غَـــدا مُمكِنـــاً	**أَن يَـــسرِقَ الـــسُكرَ مِـــنَ الخَمـــر**

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 413، 473.

(2) بردي ، ابن تغري ، **النجوم الزاهرة** ، 196/8.

(3) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 191.

(4) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 645.

(5) الدُّخن : هو حَبّ الجاوَرْس واحدته دُخنة ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة دَخَن .

ويُعلّق ياسين الأيوبي على هذه الأبيات بقوله : " لم يَعد الحديث عن سرقة الأشياء من حوائج وحُلى وممتلكات ، بل اتجه إلى أبعادٍ جديدة ، إلى سرقة المشاعرِ والخـواطر ، وإلـى الطيب والنشوة ، وكلها من جليل اللطاف والمعنويات " . [1]

لا يسخر الحلي من السرقة فحسب ، بل يسخر من الكذب ، يقول في كذّاب كان يظنّه صديقاً فخابَ ظنّه لأن الصديق صدوق ، يقول : [2]

لـي صَديقٌ لا يَعرفُ الـصِدقَ فـي القــــو ... لِ وَلَـيسَ الـصَديقُ إلّـا الـصَدوقُ

لَـيسَ فيــهِ تَـصَوُّرٌ يُـدرِكُ العِلــ ... ـمَ وَلا لــي إن قُلتُــهُ تَـصديقُ

وقال أيضاً : [3]

تُلَفِّــقُ كِــذباً ثُــمَّ تَــأتي بِــضِدِّهِ ... إذا سَـأَلوا تَكريـرَ مـا كُنـتَ حاكِيـا

فَــإِن كُنــتَ قَــوّالاً فَإِنَّــكَ كــاذِبٌ ... وَإِن كُنـتَ كَـذّاباً فَـلا تَـكُ ناسِـيا

فهو يسخر من هذا الكذاب الذي يلفق الأكاذيب ، وحين يُسأل تكرير ما قاله يكذب مرّة أخرى لأنه نسي كذبته الأولى ، وينصحه ساخراً بأن يبقى على ذاكرتـه وأن يحـاول عـدم النسيان لأن اجتماع الكذب والنسيان يثبت أنه كذاب .

ويسخر الوراق من الكذب ، فيقول في مُتمارضٍ كذاب [4]

متمــــارضٌ جَعَــــل التَّغـــا ... شـــي مـــن خَبَاثَتِـــه سَـــبَبْ

ويقـــول : مــــا أنـــا طيّـــب ... صَـــدَق اللعـــين ومـــا كَـــذَب

---

(1) صفي الدين الحلي ، 199.

(2) الحلي ، صفي الدين ، ديوانه ، 645.

(3) نفسه ، 529.

(4) الصفدي ، الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، 264/1.

يستنبط الوراق دليله من الكذاب نفسه الذي يَدّعي المرض ويقول بأنه غيــر طيــب ، فيحوّر في المعنى ويواري ليجعل قصده الخبث وعدم الطيبة ، ويبرهن أنه كذب فـــي ادعــاء المرض ولكنه صدق وما كذب في قوله : ما أنا طيب .

الفصل الثالث

السُّخرية من فئات اجتماعية مختلفة في الشعر

أولاً : السُّخرية من المرأة .

ثانياً : السُّخرية من المغنيين والمغنيات .

ثالثاً : السُّخرية من الخدم والجواري .

رابعاً : السُّخرية من الأدب والأدباء .

خامساً : السُّخرية من أهل العلم والفضائل .

سادساً : السُّخرية من الحرف والحرفيين .

سابعاً : السُّخرية من مواقف مختلفة .

الفصل الثالث : السُّخرية من فئات اجتماعية مختلفة في الشعر

أولاً : السُّخرية من المرأة :

يقول فوزي محمد أمين : " الواقع أننا لا نرى في الأدبِ من حياة المرأة المنزليـــة إلا الجانب السّيء ، وكأن السّخط وحده هو الذي يحرك قرائح الشعراء " . [(1)]

وقد صَوّر الشعراء النساء صوراً ساخرةً ، ولا ريب أنهم استمدوا هذه الــصورة مــن واقع مجتمعهم ثم أضافوا عليها من روحهم الفكهة ، وحسّهم الشعبي ، مما جَعَــل لهــا هــذه الحيوية وهذا النبض الذي جعلها تشع بالحياة وجعلنا نشعر كأنها تعيش بيننا . [(2)]

وهذه النظرة السّاخرة نجدها في شعر الجّزار الذي سَخِر من زوجة أبيه ، وصـــوّرها أقبح تصوير واصفاً هرمها مُبيّناَ ضعف عقلها وقبح وجهها بقوله : [(3)]

تَـــزَوّجَ الــشّيخُ أبـــي شَـــيْخَةَ   لـــيسَ لهـــا عَقْـــلٌ ولا ذِهْـــنُ
لـــو بـــرزت صـــورتها فـــي الــــــــــــــــــدّجى   مـــا جَـــسَرت تبـــصرها الجـــنُّ
كأنهـــا فـــي فرشـــها رمّـــةٌ   وشـــعرها مـــن حولهـــا قُطْـــنُ[(4)]
وقائـــل قـــال : فمـــا سِـــنّها   فقلـــتُ : مـــا فـــي فمهـــا سِـــنُّ

لقد جَعَل الجزّار من هذه المرأة الهيئة المثالية للقبح والشيخوخة ، ونَسَج منها خيـــوطَ مَشْهدٍ مسرحي ساخر ، معتمداً على التفاوت الخيالي والتصوير اللطيف اللامأســـاوي ، فكـــان هذا الشعر الهجائي العابث . [(5)]

---

(1) **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ، 199.

(2) ينظر : نفسه ، 302.

(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 292/4.و ابن كثير ، **البداية والنهاية** ،293/13.واليونيني، **ذيل مرآة الزمان** ، 64/4.

(4) الرّمة : قطعة من الحبل بالية ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة رَمَم .

(5) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 185.

وفي أبياتٍ أُخرى له يتهم زوجة أبيه بقتل أبيه ، والعجيب أن يوصي لها والده بالصداق وهي قاتلته ، يقول : [(1)]

أذابَتْ كِلى الشيخ تلك العجوز وأرْدتــه أنفاسها المُرْديَـهْ
وقد كان أوصى لها بالصّداق فما في مصيبته تَعْزِيَهْ
لأنّي ما خِلْتُ أن القتيلَ يوصي لقاتِله بالدّيَهْ

تكمن السّخرية لا في اتهام الجزار لزوجة أبيه بقتله ، بل بطريقة القتل ، حيث كان سلاحها في هذه الجريمة أنفاسها المميتة ذات الرائحة النتنة الكريهة ، ويرى الشاعر أن مصيبة والده ليس لها عزاء ، لأنه أوصى لقاتلته بالصداق متهكّما من غرابة كون القاتل موصى له بالدية وليسَ مطالباً بها .

ويرى ياسين الأيوبي أن الجزار قد عَدَل هُنا عن الدعابة الخالصة والفكاهة الفنية الراقية ، إلى نوعٍ جَمَع ذلك إلى حقدٍ دفين ، واحتقارٍ لسخف الأقدار التي تجعلُ من المرذول المُعْتَل يفوز بالحياة والبقاء . [(2)]

أما البوصيري ، فيشكو من زوجته ساخراً منها ، راوياً قصَّته معها ، سارِداً لأحداثها بأسلوبٍ فكه مضحك ، ويبدأ هذه القصة بالحديث عن مُجريات الحوار الذي دار بين امرأته وأختها وكيف حَرّضتها الأخيرة على زوجها ، حيث يقول : [(3)]

وَيَوْمَ زارت أُمُّهم أختَها والأُخْتُ في الغَيْرَةِ كالضَّرَّهْ
وَأَقْبَلَتْ تَشْكُو لها حالَها وَصَبْرَها معي على العِشْرَهْ

---

(1) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 292/4.

(2) ينظر : **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 378.

(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 111-112.

قالـتْ لهـا كيـفَ تكـونُ النِّـسا   كـذا مَـعَ الأزواج يـا غِـرَّهْ[1]

وكأننا أمام مشهد مَسْرحي نابض بالحياة والواقعية ، يسوق فيه الشاعر بكل براعةٍ السخرية من زوجته على لسان أختها التي تقذفها بالشتائم وتنعتها بالغِرّة الغافلة ، ثم يكمل هذا الحوار بين الأختين بقوله :[2]

قُـومِي اطْلبـي حَقَّـكِ منـه بـلا   تَخَلّـفٍ منـكِ ولا فَتْـرَهْ
قالـت لهـا : مـا عـادَتي هكـذا   فـإنَّ زَوْجِـي عنـده ضَـجْرَهْ
أخـافُ إنْ كَلَّمْتُـهُ كِلِمَـةً   طَلَّقَنِـي قالـتْ لهـا بَعْـرَهْ[3]

تشتم الأخت أُختها لإنها خائفة من زوجها ، وتظلُّ تهوّن قدره في نفسها ، وتحرّضها على المطالبة بحقها ، فتأتيه الزوجة ممتلئة بمشاعرِ السّخط والغضب ، وتضربه على رأسه يقول في ذلك : [4]

وَهَوَّنَـتْ قَـدْري فـي نَفْـسِها   فجـاءَتِ الزَّوْجَـةُ مُحْتَـرَّهْ[5]
فقـاتلتني ، فَهَـدّدتها   فاسْـتَقْبَلَتْ رَأسِـي بـآجُرَه

نقلةٌ نوعية من السخرية من زوجته إلى السخرية من نفسه ، إذ يروي كيف ضربته زوجته رغم تهديده لها ، غير آبه في إطلاق السخرية من نفسه وتأليف النكات المضحكة والقصص الهزلية التي تدور حول علاقته الشخصية مع زوجته .

ويعرض البوصيري لهذه الزوجة صورة أُخرى ، ساخِراً من مظهرها وضعفها وهرمها مُتَعجباً من قوة رحمها وصِباه يقول في ذلك : [6]

بَلَغَتْ مِنَ الْعُمر العِتَّي ونُكِّسَتْ   فِي الخَلْق وَهْيَ صَبيَّةُ الأرحامِ

---

(1) يا غِرة : يا غافلة ، والغِرة البُله الذين لم يجربوا الأمور ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة غَرَر.

(2) البوصيري ، **ديوانه** ، 112.

(3) البعرة : واحد البعر ، وهو رجيع الخف والظلف من الإبل والشاة والبقر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة بَعَر.

(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 112.

(5) مُحْتَرَّةْ : محرورة ، غضبى ، وهي من الحرّ بمعنى الوجع والغيظ ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة حَرَر.

(6) البوصيري ، **ديوانه** ، 243.

إنْ زُرْتُها في العامِ يَوْماً أنْتَجَتْ وَأتَتْ لِسِتَّةِ أشْهُرُ بغُلامِ

وإن كان البوصيري قد ضاق بهذه الزوجة المشاكسة الولود ، فإن ابن دانيال هو الآخر قد ضاق بزوجته الذميمة النكدة ، يقول فيها : (1)

زوجهة في النِّقار ديكٌ ولكنْ لها في النِّساء صورةُ قردِ

أيُّ زوجة هذه التي تكون في قوّة خصامها ونقارها كالدّيك وفي صورتها كالقرد ؟!

يبدو أن ابن دانيال كان ماقِتاً كارهاً لهذه الزوجة وإلا لما وصفها بهذه الأوصاف ولما سخر منها هذه السخرية القاسية الجارحة .

وهذه النظرة السّاخرة للمرأة نجدها في شعر القيراطي ، ولكن بشكلٍ مختلف عن سابقيه ، إذ يتهكّم بامرأةٍ تعملُ بالوعظ ، ويسخر منها ، وكأنّه لا يرى في مجالِ الوعظ مكاناً للنساء ، واقرأ له هذه الأبيات ولا يغرّنَك منها الإطار الغزلي الذي جعله القيراطي حجاباً على سخريته (2) ، يقول : (3)

وعالِمةٍ تُفتي بقتْلِ مُحِبِّها وتَجْهَرُ أنّي في هواها أعْذَبُ
وتعضبُ إن جاءَت عليّ ببصرها كما أنّها تجني عَلَيّ وأغْضَبُ
إذا وعَظَت قامت مَلَاحةُ وجهها على منبر الأعطاف تدعو وتَخْطُبُ

" وما أغربها من واعظةٍ تلك التي يقوم جمالها مقامَ عَملها ، ويقوم محبوبها مقام طالبي الإفادة " .(4)

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 237.

(2) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ، 298.

(3) القيراطي ، **ديوانه** ، 88.

(4) أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول** ،

ولكنّ سوء الظن بالنساء عند القيراطي يبلغ مداه في أبيات أخــرى ، بحيــث يــراهُن جميعاً ناكراتٍ للنعمة ناقماتٍ لا يُرضيهنَّ شيء ، فَهُنّ في حال الغضب والرّضى سواء ، فــي كِلتا الحالتين هُنَّ سخطٌ مسلطٌ على الرجال ، يقول : [(1)]

وعَيشك لا يُرضي النّساءُ مَعيشةً   ولـو أنّهـا مـن جَنَّـةِ الخُلـدِ تُجلَـبُ
تُـشاهِدها فـي حالـةِ الغيظِ مهلكـاً   وحـال الرّضى لم يَكْفِها منك مطلبُ

أما الوراق فيصوّر لنا كره بعض الناس للبنات ، ويجعل من نفسه مثالاً لذلك ، يقــول بأسلوبه الساخر الفكه : [(2)]

رُزِقْــتُ بِنْتــاً لَيتَهــا لَــمْ تَكُــنْ   فــي لَيلَـــةٍ كالــدَّهْرِ قــضّيتُها
فقِيـلَ مـا سَـميَّتَها ؟ قُلـتُ : لَـوْ   مكنــتُ مِنهــا كُنْــتُ سَــمّيتُها

يتلاعب الشاعر بكلمة سميتها يريد سَمَمْتها ، مُعلناً استياءه وموقفه من انجــابِ هــذه البنت التي كانت ليلةُ إنجابها كالدّهر ، ويعيد الكرّة في الحديث عن كرهه للبنات ، ولكــن الآن حين يرزق ابنه بالبنت الرابعة ، حيث يقول : [(3)]

كَمُلَــت لإبنـــي بنـــاتٌ أربـــع   والتـــي جـــاءَت تمـــام الخاتِمَــهْ
قـــال : قـــد ســـميتها رابعـــة   قلـــتُ إيـــاك وأخـــرى طارِمَـــهْ

ولكن أشد الشعراء سخرية من المرأة هو صفي الدين الحلّي الذي يُعَمّم سخريته مــن النّساء بِعَدّهنّ ناقصات عقلٍ وحظٍ ودين مستغلاً ثقافته الدينية في بَرْهَنَةِ ذلك ، داعياً إلى عَــدَم إطماعهن وإلا ستكون النتيجة ندماً أبدياً ، يقول : [(4)]

تَوَقّــوا النِســاءَ فَــإِنَّ النِســاءَ   نَقَـصنَ حُظوظـاً وَعَقـلاً وَدينـا

---

(1) القيراطي ، **ديوانه** ، 303.

(2) الصفدي ، **فضّ الختام عن التورية والاستخدام** ، 214.

(3) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 265/1.

(4) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 544.

وَكُــلٌّ بـــهِ جــاءَ نَــصُّ الكِتــابِ وَأوضَـــحَ فيـــهِ دَلــيلاً مُبينـــا
فَأمّــا الــدَليلُ لِــنَقصِ الحُظــوظِ فَـــإِرثُهُمُ نِـــصفُ إرثِ البَنينـــا
وَنَقـــصُ العُقـــولِ فَـــإِجراؤُهُنَّ بِنِـصفِ الـشَهادَةِ فـي الـشاهَدينا
وَحَــسبُكَ مِــن نَقــصِ أديــانِهِنَّ مــا لَــستَ تَــزدادُ فيــهِ يَقينـــا
فَــواتُ الــصَلاةِ وَتَــركُ الــصِيامِ فــي مُــدَّةِ الحَـيضِ حينــاً فَحينــا
فَـــلا تُطمِعـــوهُنَّ يَومـــاً فَقَـــد تَكـــونُ النَدامَـــةُ مِنـــهُ سِـــنينا

أما البهاء زهير ، فيسخر من امرأة تتــصابى رغــم هرمهــا وكبــر ســنّها ، فقــال يهجوها:[1]

وَلَقَـــد رَأَيتُـــكِ فِـــي النِقـــا بِ وَذاكَ عُنـــوانُ الكِتـــابِ
وَسَــــأَلتُ عَمّــــا تَحتَـــهُ قـــالوا عِظـــامٌ فـــي جِـــرابِ

يصف الشاعر هذه المرأة وصفاً طريفاً حين يشبهها بِعظامٍ في جراب للدلالة على هرم سنّها ، ولكنه لا يكتفي بهذا القدر من السخرية والإهانة ، فيكمل قائلاً : [2]

فَـــإِذا عَـــدَدتُكِ فِـــي الكِـــلا بِ حَطَطــتُ مِــن قَــدرِ الكِــلابِ

يُهينها ويحطُّ من قدرها ويجعلها في الحضيض حين يفضل الكلاب عليهــا ويــرفض نسبتها إليها حتى لا يحطّ من قدرهم .

---

(1) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 31.

(2) نفسه ، 32.

ثانياً : السُّخرية من المغنيين والمغنيات :

ربط الشعراء بين الصوت والصورة ، أي صوت المغنية وصورتها ، مؤكدين على ضرورة الانسجام بينهما ، فكأَنهم جعلوا شرط الجمال بوجود الصوت والصّورة معاً ، وأن الجمال وحدة لا تتجزّأ . (1)

ومن هذا المنطلق سخر بعض الشعراء من المغنيات اللاتي يتوافر لديهن الصوت الجميل ، ولكنّهن قبيحات ، يقول ابن الوردي في مغنيةٍ حسنة الحلق قبيحة الخلق.(2)

بـاللهِ إنْ غنّيتِهِمْ فتبرقعي	يا نزهةَ الأسماع لا الأبصار
غنّيتِ سافرةً لهمْ فقلوبُهُمْ	في جنَّةٍ وعيونُهمْ في نار

قلوبٌ في الجنة ، وعيون في النار ، كان وقع هذه المغنية على المستمعين لها والناظرين لوجهها ، لذلك يرجوها الشاعر أن تتبرقع عند الغناء حتى يستمتعوا بصوتها دون المعاناة والعذاب من جرّاء رؤية وجهها القبيح .

أما الحّلي ، فيسخر من مغنيةٍ قبيحة الصوت ولكنَّ ضَرْبها أي عَزفها جميل ، ويرى أنها حَوَت ضِدين في أحدهما أساءت للناس وفي الثاني سَرّتهم ، يقول : (3)

حَوَت ضِدّينِ إذ ضَرَبَت وَغَنَّت	فقد ساءَت وَسُرَّت مَن رَآها
غِناءٌ تَستَحِقُّ عَلَيهِ ضَرباً	وَضَرباً تَستَحِقُّ بِهِ غِناها

كما قال في مطربٍ ثقيل : (4)

وَشادٍ يُشَتِّتُ شَملَ الطَرَب	يُميتُ السُرورَ وَيُحيي الكُرَب
بوَجهٍ يُبيدُ إذا ما بَدا	وكَفٍّ تَضُرُّ إذا ما ضَرَب
شَدا فَغَدا كُلُّ قلبٍ بِهِ	قليلَ النَصيبِ كَثيرَ النَصَب
تَغَنّى فَعَنّى قُلوبَ الرفاق	وَماسَ فَمَسَّ القُلوبَ العَطَب

---

(1) ينظر : عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، 122.

(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 391.

(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 523.

(4) نفسه ، 523.

أيُّ مغنٍ هذا الذي يتحدث عنه الشاعر ؟ إنّه مُغنٍ قَتَل روح الطربِ وأباد مغزى الفن الجميل للغناء والموسيقى ، إنه يميتُ السّرور ويحي الكرب ، لا وجهه جميل ولا غناؤه أو ضربه مُستَحسن ، تُعاني القلوب إذا تغنّى وتهلك . وقد أجاد الشاعر حين " قابل بين الغناء والعناء ، والميس والمس ، وشتان بينهما " . [1]

ويقول في مغنٍ جَمَع في القبح بين صوته وصورته ما يلي : [2]

غنّى بصَوتٍ مِثْلِ سَوطِ عَذابِ	**وبَدا بوَجهٍ مِثْلِ ظَهرِ غُرابِ**
فَوَدَدتُ أنّي لا أراهُ فإنَّني	**بَكَرَتْ إلَيَّ مُغيرَةُ الأعرابِ**

يسخر الشاعرِ من صوت هذا المغني الذي كان كسوطِ عذابٍ يجلدهم به ، ويسخر من صورته التي بدت كظهر غراب ، فتمنى الشاعر ألا يراه لقبحه .

ويسخر محمد بن علي الواسطي من عوادٍ وزامرٍ بقوله : [3]

شبَّهت ذا العواد والزامر إذ	**ضاقت علينا بهما المناهج**
بعقربٍ يضرب وهو ساكت	**وأربدَ ينفخ وهو خارج[4]**

صورتان ساخرتان لكلٍّ من العواد والزامر ، يصور الأول فيها على أنّه عقرب يضرب وهو ساكت ، والثاني كالحيّة الخبيثة ينفخ وينفث سَمّه ، وهما بهذان التشبيهان قد اقتربا من قَتل من يستمع إليهما من وجهة نظرِ الشاعرِ .

ويتلاعب سيف الدين بن المشد بحروف لفظة عوّاد مُستعيناً بها على إظهار سخريته بقوله : [1]

---

(1) الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 300.

(2) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 523.

(3) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 504/4.

(4) الأربد : ضرب من الحيات خبيث ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة ربَد.

عَوّادنـــا قــد طُمِــسَت عينُـــه فعـــاد بالتـــصحيف قـــوّادا
مــــا عـــــاد إلا لعاداتِـــــه لأجـــل ذا سُـــمّى عـــوّادا

وهناك صور أخرى طريقة اتبع فيها الشعراء أسلوب السخرية ، ومنها هجاء الـسراج المحار لامرأة سوداء رآها تعزف على المزمـار ، فأتحفنـا بـصورة فنيّـة تبـدو كرسـمة كاريكاتورية لها بقوله : [2]

ولَـرُبَّ زامِـرةٍ تهـيجُ بزمرهـا ريـح البطـونِ فليتهـا لـم تزمُـر
شـبّهت أنملهـا علـى صِـرناجها وقبيح مبسمها الشنيع الأبخر[3]
بخنـافِسٍ قـصدت كنيفـاً واغتـدت تَسْعَى إليه على خيار الشّنبر[4]

فهو يسخر من عزفها في البيت الأول ، ويوغل في السخرية في بيتيه الثاني والثالـث حين يشبّه أصبعها الأسود ومبسمها القبيح ذو الرائحة الكريهة بخنافس ذاهبة إلى كنيفٍ ، وذلك لبيان شدة قبحها وقوّة رائحتها النتنة.

هكذا ، نرى كيف جعل الشعراء من أنفسهم نقّاداً يصدرونَ أحكاماً للدّفاع عـن القـيم الفنيّة المتمثلة في الغناء ، وما يصحبه من موسيقى وعزفٍ وألحان ، معتمدين في ذلك علـى حاستي الذوق والسّمع عندهم [5] مُسخّرين السخرية في سبيل هجائهم وفضح عيوبهم .

---

(1) ابن المشد ، سيف الدين ، **ديوانه** ، 47.

(2) العباسي ، إبراهيم ، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** ، 106/2.

(3) البخر : الرائحة المتغيرة من الفم ، والنتن يكون في الفم وغيره ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة نَجَر .

(4) الخيار الشّنبر : ضربٌ من الخّروب ، شجرة مثل كبار شجر الخوخ ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة خَيَر.

(5) عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، 118.

ثالثاً : السُّخرية من الخدم والجواري :

هناك أناس لا يملكون من أمرهم شيئاً، قدر لهم أن يكونوا أدنى مرتبة وأقل منزلـــة من غيرهم، ومع ذلك لم يسلموا من لسان الشعراء الذين هجوهم وذموهم وسخروا منهم. فإبن الوردي الذي عاشرهم يرى أنهم لؤماء غلاظ وهذا رأيه فيهم من خلال تجربته معهـــم حيـــث يقول : [(1)]

إنَّ الأرقـــــاءَ غــــلاظٌ لُؤَمـــــا   وكـــلُّ مَـــنْ جــرَّب هــذا عَلِمَـــا
مــا أطيـبَ المـالَ وأحلـى النِّعَمـا   لـــولا مقاســـاةُ العبيـــدِ والإمـــا

فهو يؤكد بأسلوبه التّهكمي اللاذع لؤم والأرقاء وغلاظتهم ، ويرى أن طَيـــب المـــال وحلاوة النعمة يُنَغّصان من جراء مقاساةِ العبيد والإماء ، ويقول في خادمٍ خان مخدومه : [(2)]

فــي ظـرفِ خمـرٍ خــانَ مخدومَــهُ   فــامتلأ المخــدومُ غيظـاً عليــهْ
لا بــدْعَ فــي ظـرفٍ أتــى فاصــلاً   بـــينَ مـــضافٍ ومـــضافٍ إليـــهْ

أما إبراهيم المعمار ، فتشتد سخريته منهم إذ يرى أنهم لا تُرتَجى مكـــارمهم ، ويقـــول إنه ليس عندهم حشمة ، جاعلاً هذا المعنى في توريةٍ ساخرةٍ بقوله : [(3)]

وإنَّ من الخُدَّام من ليسَ تُرتَجى   مكارمـــه ، فالبُعـدُ عَنــه غنـــائمُ
ولا تَــكُ مِمــن يــتهمهم بحــشمةٍ   فلـيسَ لهـم بـين الرّجـال محاشـمُ

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 340.

(2) نفسه ، 256.

(3) المعمار ، إبراهيم ، **ديوانه** ، ق 27.

وهنا نرى كيف لم يسلم حتى الخدم من سخرية الشعراء ، مع أنهم لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً ، لا إن مُدحوا ترتفع مكانتهم ، ولا إن ذُمّوا تنزل مكانتهم وينحط قدرهم ، ولكنّ الشعراء أرادوا بالسخرية منهم الإتيان بمعانٍ جديدة والإبداع في القول . [1]

رابعاً : السُّخرية من الأدب والأدباء :

رأى الشعراء في البداية أن الأدبَ خير وسليةٍ للخلاص من واقعهم السّيء وتخيّلوه سُلّماً للانتقال إلى مكانةٍ اجتماعية أعلى ، وظنّوا فيه مصدراً للرزق ، فضلاً عن كونه اثباتاً لمواهبهم وإمكاناتهم ، لكنَّ آمالهم خابت ، فالممدوحون لا يعطونَ على مَدحهم ، وإن أعطوا كان العطاءُ قليلاً ، وهنا تحطمت أحلامهم على أرض الواقع ، وتبدّدت أمالهم في سماء الحقيقة ، فالأدب والشعر لم يغيّرا من أمرهم شيئاً ، بحيث رفض المجتمع رفع مكانتهم [2] ومن هنا ، آثر فريق من الشعراء الاحتراف بحرفةٍ تُيسّر لهم الرّزق ، وتحفظ ماء وجوههم وتُبقي على كرامتهم . [3]

يقول الجزّار مادحاً صناعته ناعياً على صناعة الأدب والشعر : [4]

كيف لا أشكُر الجزراة ما عِشْتُ حفاظاً وأرفضُ الآدابا
وبها صارت الكلاب تُرَجيني وبالشعر كُنت أرجو الكلابا

ويُكرر في المعنى نفسه : [5]

لا تعبني بصنعة القصّابِ فهي أزكى من عَنْبر الآدابِ
كان فضلي على الكلاب فمذ مَدَ حتُ أديباً رجوت فضل الكلاب

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، أدب الصنّاع وأرباب الحرف ، 133.

(2) ينظر :نفسه ، 207.

(3) ينظر : سليم ، محمود رزق ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، 4/7.

(4) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، 316/1.

(5) الحموي ، ابن حجّة ، خزانة الأدب ، 248.

إن الأبيات السابقة بما احتوته من سخريةٍ ، كما يقول أحمد أحمد بدوي تدلُّ على ثورةٍ في نفس الشاعرِ ، ناجمةً عن إخفاقه فيما كان يُعلّق عليه كبارَ الآمال . [(1)]

أما ابن نباته فيحدّثنا عن حال الشعراء ومكانتهم الاجتماعية ، ويتحسَّر على ضياع الشعر في زمانه ضيعةَ السّيف في يدٍ شلاَّء بقوله : [(2)]

فأجلَّ عني حالاً أرانيَ منها ... كلَّ يومٍ في غارةٍ شعواء
فكفّى من وضوح حاليَ أنّي ... في زماني هذا من الأدباء
ضاع فيه لفظي الجهير وفضلي ... ضيعةَ السيفِ في يدٍ شلاَّء

ولم يَنْعَ ابن نباتة وحده على صناعة الشّعر وموقف الناس منه ، فالورّاق يقول : [(3)]

رَفَضُوا الشِّعْرَ جَهْدَ هُمْ ورَمَوْهُ ... بَيْنَهُمْ بالهَوَانِ والإزْدِراءِ
فلَوْ أنَّ الكِتابَ كانَ بأَيْدِيـ ... ـهِمْ مَحَوْا مِنهُ سُورةَ الشُّعَراءِ

باسلوبه السّاخر وروحه الفكهة يبيّن لنا الشاعرِ مدى كره الناس للشعر إذا وصل بهم المدى في كرهه إلى محوِ آية الشعراء من القرآن لو كان بأيديهم ، وكردّةْ فعلٍ على كره الناس للشعر والشعراء ، صار الشاعرِ يبتعد عن لقاءِ الناس محاولاً عدم الاحتكاك بهم ، مُبيّناً ذلك في قوله : [(4)]

أصون أديمَ وجهي عَنْ أُناس ... لِقاءُ المَوْتِ عِنْدَهُمُ الأدِيبُ
ورَبُّ الشِّعْرِ مَمْقُوتٌ بَغِيضٌ ... ولَوْ وَافى بهِ لَهُمُ حَبِيب

أما ابن الوردي ، فلم يرثِ للحالِ الذي وصل إليه الشعر ، بل رثى الحال الذي يمكن أن يصلَ إليه الشاعر إذا نظم الشعر وقاله ، ومن هنا ، نهى ابنه عن نظم الشعر قائلاً : [(5)]

بُنَيَّ إياكَ ونظمَ الشعرِ ... فإنهُ بالعلماءِ يُزري

---

(1) ينظر : <u>الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية</u> ، 290.

(2) ابن نباتة ، ديوانه ، 7.

(3) الحموي ، ابن حجّة ، <u>**خزانة الأدب**</u> ، 246.

(4) نفسه ، 246.

(5) ابن الوردي ، <u>**ديوانه**</u> ، 388.

والله لـــولا شـــهرتي وذكـــري بـالعلم كـان الـشعرُ حـط قَـدري

أي سخرية أقسى من تفضيل العلم على الأدب ، واعتبار الأدب ونظم الـشعر أمـراً يَحُطُّ من قدرِ الإنسان ويُهينه .

هذه الأبيات والأبيات التي سبقتها تنطـق بـأنّ الجنايـة علـى الأدب وليـدة البيئـة الاجتماعية، ولكنها أيضاً من البيئة السياسية ، ذلك أنّ البيئة السياسية لم تجذِب الـشعراء ولـم تُعنهم على صناعتهم ، ولو أنها فعلت لكان للشعر صَدى آخر في هذا المجتمع . (1)

وفي هذا المجال أيضاً ، نجد سخرية ممن يَدَّعون نظم الشّعر وليس لهم شعر ، يقـول الشاب الظريف في ذلك : (2)

وَرُبَّ نـاظِمِ أشْـعارٍ وَلَـيْسَ لَـهُ شِعْرٌ فَهلْ مِثْلُ هذا سارَ في السِّيرِ

ويسخر الخياط من المتشاعرين أو الشعارير الذين يحاولون نظم الشعر بغية الـدخول في عداد الشعراء ، يقول : (3)

وفـي مُتـشاعِري عـصري أُنـاسٌ أقـلُّ صـفات شِـعْرُهُم جنـونُ
يظنـونَ القـريض قيـام وزنٍ وقافيـة ومـا شـاءَت تكـون

فهو يَصف شعرهم بالجنون ، ويسخر من عقليتهم وطريقة تفكيرهم إذ يظنـون بـأنَّ الشعر مجرد وزن وقافية ، وما دروا أن هذا تصّنع وليس نظم ، وهم بهذا يكونون أبعـد مـا يكون عن الشعر ونظمه .

أما ابن دانيال ، فيسخر من شخصٍ يتشبه بالشعراء ، بقوله : (4)

ونـابحٍ قـدِ افتَـرى تَـشَبُّهاً بالـشُّعرا
يلـوك شـعراً يابـساً مـن طبعـة مُحجِّـرا

---

(1) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 14/7.

(2) الشاب الظريف ، **ديوانه** ، 165.

(3) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 342/1.

(4) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 141.

يشبه الشاعر هذا المتشاعر بالكلب الذي ينبح ويرى أن شعره يابس كطبعه المتحجّر ، ثم يُطَالب الشاعرِ بإيقافه عن نظم الشعر لأن شِعره قبيح مبتذل ، فيقول : [1]

فقُـــلْ لـــهُ يكـــفُّ عـــن	**هـــذا ..... مُقـــصِّرا[2]**
إذّ شـــعرُهُ كَذَقَنـــه	**وَذَقَنـــهُ مثـــلُ .....[3]**

ويسخر الوراق سخرية ابن داينال ، حيث يتحدث عن شخص أنشده شعراً وطلب رأيه فقال له : [4]

أنـــشَدَني شِـــعْراً بـــهِ	**ظَنَنْـــتُ فـــاهُ مَبْعَـــرا**
وَقـــالَ لـــي كَيْـــفَ تَـــرَى	**قُلْـــتُ أرَى مِثْـــلَ الخَـــرا**
فقـــالَ لـــى اســـمَعْ غَيـــرَهُ	**قُلْـــتُ كَفَـــى مـــا قـــد جَـــرَى**

---

(1) نفسه ، 141.

(2) الكلمة محذوفة من المصدر .

(3) الكلمة محذوفة من المصدر .

(4) العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، 332.

مالَ الوراق إلى ألفاظٍ عامية في وصف شعر هذا الرّجل ليزيد من حِدة السُّخرية في الأبيات السابقة .

أما الخباز الحموي ، فيقول في شاعرٍ اسمه الزّغاري : [1]

نَبَحَ الزّغاري عندَ نَظمِ موشّحٍ	وكمال نظمي بالسّفاهةِ نَقّصَا
فضربته بعصا الهجا لمّا عَوَى	فأصبتُ مصرعه ولم تضع العصا

على ما يبدو من الأبيات السابقة ، فإن هذا الشاعر المسمى " الزّغاري" قد ابتدأ بهجاء الخباز الحموي وسفّه شعره وسخر من نظمه ، فبادله الخباز الحموي الهجاء والسخرية وضربه بعصا الهجاء بوصفه كلباً ينبح وشعره مجرد عواء ، ويرى أنه أصاب مصرعه وانتقم منه .

ومن سوء حظ الجزار ، أن الله سلط عليه شاعراً هو مجاهد الخياط ، سخر منه وهجاه ، وشكك في نزاهة شعره ، بقوله : [2]

أبا الحسين تأدَّب	ما الفخر بالشّعر فَخْرُ
وما تبللت منه	بقطرةٍ وهو بَحْرُ
وإن أتيت ببيتٍ	وما لبيتك قَدْرُ
لم تأتِ للبيت إلا	عليه للناسِ حِكْرُ

" وقد كان الجزار موضع نقمةٍ لدى الشعراء لكثرة حظوته لدى الحكام ، ولسلاطة لسانه "[3] ويبدو أن هذا الأمر قد أغاظ الخياط فسخر منه بهذه الأبيات وتهكم بشعره .

---

(1) الحموي ، ابن حجّة ، **كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام**، 111.

(2) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 331.

(3) الحسين ، قصي ، **الأدب العربي في العصر المملوكي والعثماني** ، 236.

وإذا كان الخياط قد سخر من شعر الجزار ، فهذا أمر طبيعي مقارنـــةً مـــع ســـخرية الجزار من نفسه ، إذ يسخر منها وممن يحتفون بها ، ولا يجد غضاضةً في إرسال ســـخريته صريحة سافرة [1] في قوله : [2]

وقـد شـاركتُ فـي لغـةٍ ونَحْـوِ	**بـلا عِلـمٍ .. وشـاعَ بـذاكَ ذكـري**
وفـي عِلـم العروض دخلتُ جهلاً	**وَعُمْـتُ بخفتـي فـي كـلّ بحـرِ**
فـأذكرني بـه التفعيـل بيتـاً	**تـضَمَّن نـصفه الـشّيخ العمـرّي**
مفـاعلتن مفـاعلتن فعـولنٌ	**حـديث خرافـةٍ يـا أمّ عمـرو**
وعيشك لست أدري ما طحاهها	**وقـد أقـررت بـأنّي لـست أدري**
كـأني مثـل بعـض النّـاس لمَـا	**تعَلّـم آيتـين فـصارَ مُقـري**

يُقرّ الشاعر بأنه لا يدري في العروض ولا في الشّعر شيئاً ساخراً من نفـسه ، وإنمـا تأتي هذه السّخرية في باب التحامق والسخرية من الذات .

ولكنَّ الأبيات السابقة لا تدل على أنّه كان بلا علم أو ثقافةٍ كما يقول ، ولا تبرهن أنـه يجهل السّمات البارزة في أدب عصره [3] لأن أدبه زاخرٌ بما يثبت عكس ذلك ، وإنمـا قيلـت هذه الأبيات في باب التحامق وعلى سبيل السخرية كما أشرنا سابقاً .

---

(1) ينظر : القباني ، عبد العليم : **مع الشعراء أصحاب الحرف** ، 38.

(2) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 315/1.

(3) ينظر : القباني ، عبد العليم : **مع الشعراء أصحاب الحرف** ، 38.

خامساً : السُّخرية من أهل العلم والفضائل :

لم يكن حال العلم أفضل من حال الأدب ، فابن الوردي يرى أن العالم لا علماء فيـــه ، يقول : [(1)]

مـــاتَ أهــــلُ العلــــمِ مــــالي لا أرى إلاّ جهــــــــــــــــــولاً

وتراه في أبيات أخرى يدعو إلى عدم الحرص على الفضل والعلم والأدب لأن ذلك قد يضرُّ من يلاحقها ، يقول في ذلك : [(2)]

لا تحرصـنَّ علـى فـضل ولا أدبِ فقـدْ يـضرُّ الفتـى علـمٌ وتحقيـقُ
ولا تعــدَّ مـــنَ العقّـــالِ بيـــنهمُ فــإنَّ كــلَّ قليـلِ العقـلِ مـرزوقُ
والحـظُّ أنفـعُ مـنْ خـطٍّ تزوقـُـهُ فمـا يفيـدُ قليـلَ الحـظِّ تزويـقُ

فهو يسخر من العلم معتبراً أن الحظّ أنفع منه لأن قليل الحظّ لا يفيده علمـــه ، ويـــرى الشاعر أن كل ذي عقل لا حظّ له ، وكل قليل العقل مرزوق .

ويوافقه ابن دقيق العيد الرأي ، ويرى أن الجّهال لهم في الدنيا مريحان هم فرط الغنى والجهل ، وبعكسهما العلماء لأن عندهم المتعبان العلم والعدم ، يقول : [(3)]

أهل المناصب فِي الدنيا ورفعتها أهـل الفـضائل مرذولـون بيـنهمُ
قـدْ أنزلونـا لأنـا غيـر جنـسهم منازل الوحش فِي الإهمال عندهمُ
لهم مريحان من جهل وفرط غنىً وعنـدنا المتْعِبـانِ العِلْـمُ والعـدَمُ

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 231.

(2) نفسه ، 278.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، 193/4.

سادساً : السُّخرية من الحرف والحرفيين :

سخر بعض الشعراء من حرفهم وذمّوها وأظهروا تبرُّماً منها ، والغريب أنهم كانوا يمدحونها أحياناً ويهجونها أحياناً أخرى ، ولكن ، لماذا كانوا يذمونها ويتبرمون منها ويسخرون كذلك ؟ تكمن الإجابة على هذا السؤال بالقول إن حرفهم لم تَعُدْ عليهم إلا بالمهانة وازدراء الناس لهم ، لذلك كانت تتملكهم رغبة شديدة بترك حرفهم التي رأوها سبباً من أسبابِ تعاستهم وانحطاط مكانتهم ، فوصَل ضيقهم بها إلى هجائها ، وندب حَظّهم العاثر الذي أوقعهم بها .[1]

يصوّر لنا الورّاق هذه المأساة بقوله :[2]

بعتُ خُفّي في أرضكم من حِرافٍ … حفَّ بي أو أصارني للتَّحفي
ثمَّ أتبعته ندامة نفسٍ … أحوجتني لأكل خفي وكفّي

تظهر هذه الأبيات أن الحرف لم تعد على الشاعر بشيء ، بل إنَّه اضطر لبيع خفّه وأَحالته الحرفة للتحفي ، ويزيد الشاعر من وقع السّخرية بأن يبيّن مأساته مع هذه الحرف التي أحوجته لأكل خفّه وكفّه .

أما الجزار ، فلم يجدْ غير ساعديه يشق بهما الطريق المُضني الذي ينتظره ، وهو طريقٌ شاق لم يشعر فيه بأيّ لونٍ من ألوان الرّضا ، فقلةُ الأجرِ الذي قُدِّر له أن يحصل عليه من حرفته لم يكن يفي بضرورياته بالرّغم من سَعيه في سبيله[3] ومن هُنا ، كان الجّزار أكثرَ

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، <u>أدب الصّنّاع وأرباب الحرف</u> ، 197.

(2) الصفدي ، <u>الغيث المسجم في شرح لامية العجم</u> ، 146/1.

(3) ينظر : القباني ، عبد العليم : <u>مع الشعراء أصحاب الحرف</u> ، 41.

الشعراء شكوى من الحرف ، حيث أوصلته حرفته إلى اليأسِ من حياته لشدّة ما لحقه من أذى، فذمها وسخر منها ، وبدأ هذا الضيق بحرفته وذمّها [1] بقوله : [2]

حَسْبي حِرافاً بحرفتي حسبي	**أصبحتُ فِيها مُعَذّبُ القلبِ**
موسَّخُ الثوبِ والصحيفةِ من	**طول اكتسابي ذَنْباً بلا ذنبِ**
أعْمَلُ في اللحم للعشاءِ ولا	**أنالُ منه العشا فما ذنبي**
خَلِيٌّ فؤادي ولي فَمٌ وَسِخٌ	**كأنّني في جزارتي كلبي**

مشهد ساخر ، يمزج بين الضحك والألم في آنٍ واحد ، يتحدّث فيه الشاعر عن معاناته في حرفته "الجزارة" ، فما أقسى حياة مثل هذا الإنسان الذي لا يستطيع الأكل من شيءٍ من بين يديه ، ليس هذا فقط ، إنّه يصف لنا حاله في هذه الحرفة ، فهو موسّخ الثوب والصحيفة وفمه وَسِخٌ كذلك ، كل هذا العذاب الذي اجتاحَ قلبه تحوّل على لسانه إلى سخريةٍ صاغها في جوٍ من الضحك الممزوج بالألم .

ويقول في قصيدة أخرى : [3]

أصبحتُ لحّاماً وفي البيت لا	**أعرف ما رائحة اللحمِ**
وليسَ حظّي مِنه إلّا اسْمه	**قنعت من ذلك بالاسمِ**
واعتضت من فقري ومن فاقتي	**عن التذاذ الطعم بالشّمّ**
جهلته فقراً، فكنت الذي	**أضلّه الله على عِلمِ**

الجزار لحّام ولكن لم يُقسم له من اللحم إلا اسمه ، فهو في بتيه لا يعرف رائحة اللحم، ولعظم بليته استغنى عن التذاذ الطعم بالشّم ، وأصعب ما في الأمر أن جهله كان على علمٍ منه ومعرفة.

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، أدب الصنّاع وأرباب الحرف ، 204.

(2) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، 316/1.

(3) نفسه ، 317/1.

أما ابن داينال ، فإنّه تبرَّم بحرفته أيضاً ، وأشار إلى قلّة ما تعود بــه عليــه ، حيــث يقول: [(1)]

يا سائلي عنْ حرفتي في الورى وضــــيعتي فـــيهم وإفلاســـي
مــا حـــالُ مَــنْ درهَــم إنفاقــه يأخـــذهُ مـــن أعُـــين النّـــاس

يصوغ الشاعر تبرّمه من حرفته وسخريته منها على شكل نكتةٍ متمثلةٌ في توريته " يأخذه من أعين الناس " وتتمثل التورية بين صنعة التكحيل والقول العامي يأخذ الشيء مـــن عينه ، فطبيب العيون يأخذ رزقه جراء معالجته العيون . وما يهمنا هنا أن الشاعر أراد بيـــان مدى صعوبة تحصيله للرزق من خلال توظيف المثل الشّعبي ، كل ذلك بأسلوبٍ ساخرٍ فكه.

وابن دانيال هو القائل أيضاً : [(2)]

طبيب غدا في الكُحْل غيرَ مُوَفّق لَـهُ حكمـة تَجْنـي علـى العين والسَمْع
إذا أرمَـــدٌ وافـــاهُ يَـــشكو تألمـــاً منَ العين داوى العينَ كالضِّرس بالقلع

تختلف هذه الأبيات عن التي سبقتها بالرغم من تناولها للموضوع نفسه ، وهو الحرفة، حيث أصاب الشاعر هنا بسخريته طبيباً أخر يُدعى موفق ، جاعلاً طبيعته في العمل مُتنافيـــة مع معنى اسمه ، فهو في طبّه غير موفق ، يجني على الناس ، يداويهم إذا مـــا اشـــتكوا مـــن أعينهم بقلعها كما يُقلع الضرس ، بلا تفريقٍ بين الأمرين .

ولربما أراد ابن دانيال التشهير بمنافسة هذا ليُنَفّر الناس منه ، فسخر منه ومن طريقته في مداوة العيون . [(3)]

ويقول في طبيبٍ آخر يُدعى أبو علي : [(4)]

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 92.

(2) نفسه ، 93.

(3) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصنّاع وأرباب الحرف** ، 188.

(4) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 94.

**يَقولــونَ: الطّبيــبُ أبــو عَلــيٍّ	يبَــذّلُ الجــودَ مبــسوطَ اليَــدَينِ**
**فقلـتُ : علمـتُ ذلـكَ وهـوَ سَمْحٌ	يُــضَيِّعُ كُــلَّ يــوم ألــفَ عَــينِ**

ببراعةٍ ، يحوّل الشاعر صفةً حميدةً في هذا الطبيب إلى مادةٍ لــسخريته ، إذ يوافــق على أن أبا عليٍّ كريم سمح جواد ، وبرأي الشاعرِ يكمن كرمه في تضيعهِ للعيــون بكميــاتٍ هائلة ، إذ يُضيّع كلّ يومٍ ألف عين .

وكذلك سخر من جرّاح عيون بقوله : [1]

**صــــاحبُنا الآســــي لــــم يُعْطــــه	رحمــــانُ فــــي صَــــنْعَته علمــــاً ال**
**وكُلّمــا أعمــى عُيــونَ الــورى	قــال لنــا: إنَّ الحديــدَ أعمــى**

سخر ابن دانيال من هذا الجراح ، وحَكم عليه بالجهل ، وسخر من تبرير هذا الجراح إعمائه العيون وإطفاء نورها بإلقاء اللوم على الحديد الأعمى الذي لا يرى .

أما الإسعردي ، فقالَ يهجو كحّالاً بقوله : [2]

**دعوا الشَّمس من كُحل العيونِ فكفُّه	تسوقُ إلى الطّرفِ الصحيح الدواهيا**
**فكــم ذَهَبــت مــن نــاظرٍ بــسواده	وخلَّــت بياضــاً خَلْفهــا ومآقيــا**

---

(1) نفسه ، الصفحة نفسها .

(2) الصفدي ، **الوافي بالوفيات** ، 230/5.

وينحى صفي الدين الحلي هذا المنحى في السخرية من الأطباء ، ومن ذلك ما قاله في طبيبٍ يُدعى إسحق ، حيث يقول : [(1)]

مَباضِعُ إسحاقَ الطبيبِ كَأَنَّها	لَها بِفَناءِ العالَمينَ كَفيلُ
مُعَوَّدَةٌ أَلّا تُسَلَّ نِصالُها	فَتُغمَدَ حَتّى يُستَباحَ قَتيلُ

فكأن مباضع هذا الطبيب المسمى إسحق كفيلة بفناء الناس ، فهي معودة ألا تعود إلى أغمادها بعد إخراجها إلا بعد تصوير قتيل ، وكأنَّ ملك الموت جاثم على حافتها متحضّر لاستلام الأرواح .

ويقول في طبيبٍ آخر اسمه عيسى : [(2)]

أرى فيكَ يا عيسى الطبيبُ فَضيلَةً	هِيَ الضِدُ مِن أفعالِ عيسى بنِ مَريَمِ
تُميتُ لَنا الأحياءَ مِن غَيرِ عِلَّةٍ	وَتُضني وَتُغني باليَدَينِ وَبالفَمِ
وَتَحمي وَلَكِن عَن شِفاءٍ وَصِحَّةٍ	وَتَحقِنُ إلّا لِلحَياءِ وَلِلدَمِ
فَما أنتَ إلا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِب	تُمِتهُ وَمَن تُخطِىء يُعَمَّر فَيُهرَمِ[(3)]

يَسْتَحضر الشاعر معجزة سيدنا عيسى في إحياء الموتى وطبابة الجرحى ليجعل الضد منها أفعال مهجوّه عيسى الذي يميت الأحياء من غير عِلّة ويُمرض الأصحاء ، ثم يصب مهجوه بالسّخرية مَرّة اخرى من خلالِ التضمين من بيت زهير بن أبي سلمى ، الذي يقول:[(4)]

رَأيتُ المَنايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِب	تُمِتهُ وَمَن تُخطِئ يُعَمَّر فَيَهرَمِ

---

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 530.

(2) نفسه ، 531.

(3) العشواء : الناقة العمياء والخبط : السير على غير هدي ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة عشي ومادة خَبطَ .

(4) زهير بن أبي سلمى ، **ديوانه** ، 10.

فيجعل الشاعر هذا الطبيب نظيراً للموت ، كلاهما يتخبطانِ كالناقة العمياء التي تـسير على غير هديٍ ، من تُصب تمته ، ومن تخطئه يُعمّر فيهرم .

ويهجو ابن الوردي طبيباً يهودياً ، تدفعه لذلك نزعة دينية ، محذراً من هـذا الطبيـب الذي يرى الشاعِر أنه يأخذ بثأر آبائه ، مطالباً بعدم إهمال أمره ، حيث يقول : [1]

هـذا اليهـوديُّ الطبيـبُ الـذي ... لا طـوَّلَ اللهُ لنـا عمـرَهُ
قـدْ أخـذَ الثـأرَ لآبائِـهِ ... يـا قومَنـا لا تهملـوا أمـرَهُ
تخـافُ عـينُ الـشمسِ مِنْ كحلِـهِ ... قائلـةً ربنـا اكفنـي شـرَّهُ
أيُّ مـريضٍ طبَّـهُ طمَّـهُ ... وأيُّ طـرْفٍ ذرَّهُ ضـرَّهُ

مبالغةٌ شعرية في البيت الثالث في جعلِ عين الشمس تخاف من هذا الطبيب وتطلـب من الله كفايتها شرّه ، حيث لا يسلم مريضٌ إذا وقع بين يده ، ولا طرف يمسه إلا يضره .

ومن الحرف التي كثر ورودها في الشعر ، العملُ في الحمام ، إذ اشتكى الشعراء من آلحمامات التي لم تتوافر فيها شروط الراحة للمستحمين ، فسخروا منها . ومن ذلك مـا قالـه ابن الأعمى في حمامٍ وجده سيئاً ووجد قيّمه أسوأ ، فسخر من كليهما بقوله : [2]

إنَّ حمّـامكم الـذي نحـنُ فيـه ... قـدْ أنـاخ العـذابُ فيـه وخَـيَّم
مظلـم الأرض والـسَّما والنّـواحي ... كـلُّ عيـبٍ مـن عيبـه يـتعلَّم
وبـه مالـك غـدا خـازن النّـا ... ر ، بَلـى مالـك أرق وأرْحَـم
كُلَّمـا قلْـتُ : قـد أطلْـتَ عـذابي ... قـال لـي : إخـسأ فيـه ولا تـتكلَّم
قلـتُ لمّـا رأيتـه يتلظّـى ... ربنـا اصرف عَنّا عذابَ جَهنَّم[3]

يجعل الشاعر من الحمام بؤرةً للعيوبِ من كلِّ لونٍ وجنس ، منه تنطلق وعليه تقاس ، وهنا ابْتَدَع الشاعر من عيوب الأشياء الصّغيرة صورةً جديدة لمعابةٍ كبيرةٍ لا حدود لها . [4]

---

(1) ابن الوردي ، **<u>ديوانه</u>** ، 205.

(2) الحنبلي ، ابن عماد ، **<u>شذرات الذهب</u>** ، 736/7.

(3) اقتباس من قوله تعالى : "$ï‰šú bqä9qà)tƒ šúïÏ%©!$#ur $oY/u' ô$ÎŽñÀ$# $¨Ytã z>#x‹tã tL©èygy_" سور الفرقان ، آية : 65.

(4) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **<u>آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي</u>** ، 188.

ومن الشعراء الذي ذمّوا حمّاماً ابن الوردي إذ يقول : [1]

حَمَـــامكمْ فـــي كـــلِّ أوصـــافِهِ	**كوجـــهِ شـــخصٍ غيـــرِ مـــذكورِ**
شـــديدُ بـــردٍ وســـخٌ مـــوحشٌ	**قليـــلُ مـــاءٍ فاقـــدُ النـــورِ**

لا يجد الشاعر في الحمام ما يرضيه ، فهو شديد البرد ، وسخ موحش ، قليل المـــاء ، لا نور فيه ، لذلك سخر منه الشاعِر وذمّه .

وله في ذَمّ قيم حمّام : [2]

حمَّـــــامُكُمْ قيمُـــــهُ شـــــاطرُ	**هربْـــتُ منـــهُ وأنـــا صـــارخُ**
قـــدْ ســـلخَتْ جـــسمي أظفـــارُهُ	**يـــا قـــومُ هـــذا الأســـودُ الـــسالخُ**

يستمد الشاعر مادة سخريته وقوامها من هذا القيم الأسود الذي لا يُحسن عَمَله فيلقّبـــه بالأسود السَّالخ .

أما صفي الدين الحلي ، فيقول في حمّام : [3]

إنَّ حَمّامَـــــكَ قـــــد ضَـــــ	**ـــــمَت حَميمـــــاً وَحِمامـــــا**
فهـــيَ مِثـــلُ النـــارِ ســـاءَت	**مُـــــــستَقرّاً وَمَقامـــــــا[4]**

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 205.

(2) نفسه ، 309.

(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 527.

(4) اقتباس من قوله تعالى : " $gR) $™ äN õ ã çG)v# ãr)$B$ " سورة الفرقان ، آية : 66.

الحّر الشديد في الحّمام جعله يشبهها بالنار التي ساءَت مستقراً ومقاما ، وهذا الحّر هو نفسه الذي جعل المعمار يهجو حماماً ويَسخر منه مؤكداً عدم مقدرته على نسيانه يقول فيه: [1]

لَم أنْسَ حمّاماً دخلت بها ضُحاً فتصاعدت من حَرّها زفراتي
لا ماء فهيا والطهور مُنَجّس فخرجت منها بادي الحسراتِ

الحمام الذي يفترض فيه التّطهر طهوره مُنَجّس ، أي سخرية أشدُّ من هذه السخرية وأقسى ؟!

والمعمار نفسه الذي هجا الحمام يتحدث عن حرفي آخر هو الطّباخ ولكن بأسلوب رقيق فكهٍ مبيناً حبّه لهذا الطباخ وتعذيب الأخير له مستعيناً من مهنته ما يُعينه على بناء فكاهته ، حيث يقول : [2]

هَويتُ طبّاخاً سَلاني وقد قلا فؤادي بَعدما رَدّه
مُحَرّقاً من هجره لم يَزلْ يغرف لي أحمض ما عِنده

(1) المعمار ، إبراهيم ، **ديوانه** ، ق 6.
(2) نفسه ، ق 8.

سابعاً : السُّخرية من مواقف مختلفة :

نظم الشعراء مقطعاتٍ كثيرةً سخروا فيها من مواقف مختلفة يصعب إدراجها تحت العناوين السابقة ، أو تصنيفها ضمن عناوين منفردة ، لذلك ارتأيت جمعها تحت عنوان السخرية من مواقف متعددة .

ومن أول هذه المواقف : الصَّفع ، حيث أُولعَ الشعراء في العصر المملوكي به ، فعبروا عنه في أشعارهم ، والتصافع عادة جارية بين الناس في أعياد النيروز [(1)] وهو عيدٌ يحتفل به المصريون جرَت العادة فيه على إشعالِ النيران والتّراش بالماء والتصافع بالأنطاع.[(2)]

وقد استغلَّ بعض الشعراء الصفع ، فجعلوه مادةً قوامها السّخرية ، ومن ذلك ما قاله ابن دانيال في شخصٍ يُدعى سراج الدين : [(3)]

رأيتُ سراجَ الدِّين للصّفْع حاضِراً	**ولكنّهُ في علْمه فاسدُ الذّهن**
ستره بالكفِّ خوفَ انطفائه	**وآفتُه منْ طفْئه كثرَةُ الدُّهن**

ببراعة يبني ابن دانيال سخريته من مادة الصفع ولقب المهجو ، فيمزج بينهما ، لتأتينا هذه الصورة الساخرة التي يرى فيها الشاعر أن سراج الدين – صالح للصفع برغم فساد ذهنه وهو خير من يُصفع لأن ستره بالأكُفّ يحافظ عليه فلا ينطفيء.

---

(1) ينظر : سلام ، محمد زغلول ، **الأدب في العصر المملوكي** ، 173/2.

(2) ينظر : المقريزي ، الخطط 279/1.و ينظر: أمين، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 259.

(3) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 337/1.

ويكتب ابن دانيال كذلك لصديق له يُدعى " البرهان" وكان به رَمد ومع ذلك لم يُــرحم ولم يسلم من الصفع ، فداعبه الشاعر بقوله : [1]

صُــفِعَ البرهـــانُ وَمَـــا رُحمـــا فبَكـــى مـــنْ بعــدِ الـــدّمْع دَمـــا
قــدْ كـــانَ شَــكا رَمَــداً صَــعْباً فـــأزدادَ بـــذاكَ الـــصّفْع عمـــى
وَرَمَــــى النّــــوروزُ أخادِعَــــهُ حتّــــى باتَــــتْ تــــشكو وَرمـــا

لم ترحم الأكف هذا الأرمد ولم يسلم من الصّفع ، كما أن الشاعِر لم يرحمه فلم يــسلم من السُّخرية .

ويقول إبراهيم المعمار في هذا الأمر : [2]

سـألته عـن صـفعةٍ ، قـال لـي : جنايــة الــصَّفعة مــا مِنــه بُــد
صـــاعٌ مـــن التّمـــر أحلـــى بـــه قلت : نعم ، أعطيك صاعاً ومَد

يقصد صاعاً ومداً من الصّفع لا من التّمر .

ومن الصفع ننتقل إلى موضوع آخر هو المرض ، فقد أعان الجدب والفقر على تفشّي عديدٍ من الأمراض والأوبئة بين الناس [3] ومن هذه الأمراض مَرض الطاعون الذي يقــول فيه ابن فضل الله العمري : [4]

قُــــــبّح الطـــــــاعون داءً ذَهَبــــــتْ فيــــــه الأحبَّــــــهْ
أرخــــصُ الأنفــــس بيعــــاً كُـــــلُّ إنـــــسانٍ بحبَّـــــهْ

لا شكّ أن الشاعِر مُتأثرٌ بما يفعله هذا المرض ، ولكنه لا يتوانى في استخدام عَــرَضٍ من أعراضه لبناء سخريته ، فالطاعون يصحبه دُمَّل كبير ، ويُحسن الشاعِر في توريته التــي صاغها بأسلوب فكهٍ ساخر .

---

(1) الصفدي ، المختار من شعر ابن دانيال ، 136. و الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، 336/1.
(2) المعمار ، إبراهيم ، ديوانه ، ق 9.
(3) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول ، 269.
(4) غريب ، علي محمد علي ، شعر ابن فضل الله العمري ، جمع وتوثيق ودراسة ، رسالة ماجستير ، 295.

ويسخر ابن دانيال من دُمَّلٍ طلع له إذ يقول : [(1)]

فَـــسّرَ لـــــي عــــابرٌ منامــــا   أحـــسَنَ فـــي قولــه وأجمــلْ
وقــــالَ لا بُـــدٍّ مــــن طُلـــوعٍ   فكــــانَ ذاك الطلــــوعُ دُمّــــلْ

ويتلاعب بلقبه في موضعٍ آخر ضِمْنَ حديثه عن هذا الدّمل حيث يقول : [(2)]

كـم قيـلَ لــي إذْ دُعيـتُ شمـساً   لا بُــدَّ للــشّمْسِ مــن طُلــوعِ
فكـــــانَ ذاكَ الطُّلـــــوعُ داءً   يَرقـا إلـى الـسّطح مـنْ ضـلوعي

" فابن داينال في هذه الأبيات ركّز على عنصر التورية في كلمة " طلوع " وما تُعطيه من معانٍ متناقِضة تثير الضحك" .[(3)]

ومن الموضوعات التي سخر منها الشعراء ، الليل ، إذ يقول فيه البهاء زهير : [(4)]

لا رَعـــاهُ اللَـــهُ مـــا أطوَلَـــهُ   تَحبَـــلُ المَـــرأةُ فيـــهِ وَتَلِـــد

حيث يصف طوله ساخراً منه بالمبالغة في وصفِ طوله مُستعيناً بما تقوله العامة .

وسخر الوراق من الوحدة ، بقوله : [(5)]

أفردتنـــي الأيــامُ عــن كُــلِّ خِـلٍّ   وأنـــيسٍ وصـــاحبٍ وصَـــديق
فلـــو أنّـــي مـــشيتُ فـــي شـــهر آبٍ   لأبـــى الظّـــلُّ أن يكـــون رفيقـــي

ولا يغرّنك الإطار الجدّي لهذه الأبيات ، ففيها من الـسّخرية والـتهكم مـا يـدعونا للضحك، فهي أبياتٌ ظاهِرها جدٌّ وباطنها هَزَل .

ونراه يسخر في أبياتٍ أُخرى من الصَّبر ، مع أن الصَّبر محمود ، يقول : [(6)]

وَقائـلٍ قـالَ لـي لَمَّـا رأى قلَقـي   مِـن انتِظـاري لآمـالٍ تُعنّينـا

---

(1) الصفدي ، المختار من شعر ابن دانيال ، 287.
(2) نفسه ، 169.
(3) أمين ، فوزي محمد ، المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول ، 246.
(4) البهاء ، زهير ، ديوانه ، 75.
(5) الصفدي ، الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، 159/1.
(6) الصفدي ،صلاح الدين ، الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، 265/1.

عَواقِبُ الـصَّبْرِ فِيمـا قـالَ أكثـرُهُمْ　　　مَحمـودَةٌ قُلْـتُ أخـشَى أنْ تُخرِّينـا

فكما نرى ، حتى الصفات الحميدة لم تسلم من السّخرية .

ومن الأمور التي سخر الشعراء منها أو جعلوها مُعيناً لهم على السخرية ، الألقــاب، حيث تهكم الشعراء من مجهوّيهم باستخدام ألقابهم في أشعارهم والتورية فيها لتخدم أغراضهم الهادفة إلى السُّخرية .

ومن ذلك ما قاله ابن تولو الفهري في الجزار وقاضي مصر الذي أمر بقطــع أرزاق الشعراء من الصدقات مستثنياً الجزار ، مما أغضب ابن تولو فاستمدّ مادته من لقب المهجــو وسخر منه بدافعٍ شخصي [1] في قوله : [2]

تقــــدَّم القاضــــي لنوّابـــــه　　　بقطـــع رزق البّـــر والفـــاجر
ووفَّـــر الجـــزار مـــن بيـــنهم　　　فاعجـب للطـفِ التـيس بالجـازر

(1) ينظر : الحسين ، قصي ، الأدب العربي في العصرين المملوكي العثماني ، 236.

(2) بردي ، ابن تغري ، **النجوم الزاهرة** ، 369/7.

يضرب الشاعرِ عصفورين بحجر كما يقول المثل ، فهو يسخر من الجـزار لغيظـه منه، ويسخر من القاضي لاعتباره غير عادل ، فيجعله تيساً لطيفاً مع جَـازِره مـستغلاً هـذا اللقب في تكوين صورة ساخرة لكلا مهجوّيه .

ومن هذا القبيل سخرية مجاهد الخياط من الجزار أيضاً بقوله : (1)

إنْ تــاهَ جــزّاركم علـيكم بفطنـةٍ عِنـده وكَـيْس(2)
فلـيس يَرجـوه غيـر كَلْـبٍ ولـيسَ يَخْـشَاه غيـر تَـيْس

هنا يجعل الشاعرِ مادة سخريته : لقب الجزّار ، وحَلَبَة سـخريته : مَهنـة الجـزارة ، مورياً بلقبه ومهنته بأسلوبٍ فكه مضحك مُقللاً من قدر مهجوه بجعله في أدنى درجات المـروّة والكرامة حيث لا يرجوه غير كلب ، ولا يخشاه غير تيس .

وقد يسخر الشاعر نفسه من لقبه بقصدِ الإضحاك والتنكيت ومن هـذا القبيـل قـول الوراق : (3)

شـعريتي مُـذ رمـدت قـد حَبَـست طرفـي عـنكم فـصِرتُ محبوسـا
الحمـدُ لِلّـه زادنـي شَـرَفاً كنـت سِـراجاً فـصِرْت فانوسـا

ولا يسخر الوراق من لقبه فقط ، بل نراه يسخر من لونه وشَيبه بقوله : (4)

ذهَـبَ الْعُـصفر منّـي وبَـدَا قِـرطمُ شـيبي(5)
والتـي قـد ملكـت رقـي رَدّتنـي بعيبـي

---

(1) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 102/1.

(2) الكيس في الأمور ما يجري مجرى الرفق فيها ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة كَيَس .

(3) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 244.

(4) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 235.

(5) القرطم : حَبَ أو ثمر العصفر ولونه أصفر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة قَرْطَم.

"حيث شبّه السراج الشيب بالقرطم ، وإنما حَسُن ذلك لأنه كان أَشقر " . [1]

وقد كان للبلدانِ أثرها ونصيبها من الهجاء والسُّخرية لسببٍ أو لآخر ، ومن ذلك هجاء ابن الوردي لمدينة شيزر[2] في قوله : [3]

قيـــلَ لـــي : شـــيزرُ نـــارٌ	**وبهـــا العاصـــي مخلَّـــدْ**[4]
قلـــتُ :لا أمكـــثُ فيهـــا	**أنـــا مِـــنْ حـــزبِ محمـــدْ**

يبدو أن شيزر مدينة مُناخها حار ، وهذا المناخ لم يُلائم الشاعرِ فسخر منهـا مـستغلاً اسم النهر العاصي الذي يَمُر بها ، بانياً توريته بين اسم النهر ومعناه لبيان رفـضه المكـوث فيها، كل هذه السخرية ساقها بأسلوبٍ لا يخلو من النكتة والظرف .

ويبدو أن ابن الوردي كان كثير التّرحال ، حيث وقف بمدينة اسمها البيرة [5] فلم تَرُقه ، وسعد بارتحاله عنها ، ولأنّه لم يحبها ، سخر منها بقوله : [6]

إنمـــا البيـــرةُ بيـــرٌ	**رحلتـــي منهـــا ســـعادهْ**
قيـــلَ والبيـــرةُ بيـــرٌ	**قلـــتُ بيـــرٌ وزيـــادَهْ**

---

(1)الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 235.

(2) شِيزر : حصن شمال حماة ، الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان** ، 308/3-382.

(3) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 335..

(4) العاصي : اسم نهر انطاكية ، وقيل نهر حماة بالشام من عمل حمص ، وهو نهرٌ عظيم ، عليه جسور يُعبر عليها ، وعليه نواعير كثيرة ، تخرج الماء غلى ما على جانبيه من المدينة ، ينظر : الحميري ، **الروض المعطار** ، 405.

(5) البْيرَة : بلد قرب سمساء ، بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة ، الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان** ، 526/1

(6) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 318.

أما صفي الدين الحلّي فيسخر من الغور[1] حيث الحرارة مضاعفة والبعوض كثيـــر ، والذباب لا يبارحها ، يقول في ذلك : [2]

لا جــادَ هَطّــالُ الــسَحائِبِ بُقعَــةً بـالغَورِ أضـحَت وَهـيَ شَرٌّ بقاعِـهِ
أرضٌ تَـضاعَفَ حَرُّهـا وبَعوضُـها فــي مَرجِهــا لَمّــا حَلَلــتُ بِقاعِــهِ
وَخَـلا الـذُبابُ بهـا فلَـيسَ ببــارحٍ غَــرِداً يَحُــكُّ ذِراعَــهُ بذِراعِــهِ[3]

(1)الغور : المنخفض من الأرض ، ومن غور تهامة وغور الأردن بين بيت المقدس والأردن ، الحموي ، ياقوت ، **معجم البلدان**،217/4.

(2) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 528.

(3) البيت مضمن من شعر عنتره في وصف الذباب.

الفصل الرّابع

السُّخرية السياسية في الشعر

أولاً : السُّخرية من الملوك والأمراء .

ثانياً : السُّخرية من موظفي الدولة .

الفصل الرّابع

السُّخرية السياسية في الشعر :

إنّ من يتصفَّح آثار الشعراء في العصر المملوكي لا يلبث أن يغرق في الضحك لكثرة ما صنعوا من مُداعبات وفكاهات ، لم يقتصروا بها على رفقائهم وأصدقائهم فحسب ، بل تعدّوهم إلى ساستهم وحكامهم .[1]

" وتعرّض لنقد الرؤساء وهجائهم أكثر من واحدٍ من الشعراء ، ومن الرؤساء أُمراء الدولة وقضاتها ، ومن الرؤساء أيضاً من يُقيم ببابه ، أميناً أو كاتباً ، يُصرّف الأمور قبل إقبالها عليه ، وينظمها ويحسن تقديمها ، وقد يطغى ويغريه بالطغيان انصراف رئيسه عن متابعة عمله وتفتشيه ومراجعته ، فيصبح بعد قليلٍ هو الرئيس الفعلي والمتصرف الأول الحاسم فيما يُعرض على رئيسه ، ويؤدي ذلك في كثير من الأحوال إلى اضطراب الأمور وقلقها ، وإلى إثارة النفوس وحملتها " .[2]

ومن هنا نقول : إنّ فسادَ الحكّام والولاة والقضاة وحيلهم الواسعة ظلّت لوقتٍ طويلٍ مورداً غزيراً لظرف الظرفاء[3] ولكن هؤلاء الظرفاء لم يقصدوا التظارف والإضحاك بلا مغزى ، فانتقادهم وهجاؤهم للظالمين من الملوك والأمراء والعمال الفاسدين من القضاة وغيرهم – وإن كانَ بجوٍ من التفكّه والسّخرية – هو ما جَعَل شعرهم يُعدّ من مظاهر المقاومة

---

(1) ينظر : ضيف ، شوقي ، **في الشعر والفكاهة في مصر** ، 72.

(2) سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 45/7.

(3) ينظر : القشطيني ، خالد ، **سجل الفكاهة العربية** ، 125.

الشعبية والتمرّد على الجور والمفاسدِ الاجتماعية ، ومن هنا أتت أهمية شعرهم وتفـرّده في الشعر العربي . [1]

وقد قمت بتقسيم السخرية السياسية إلى قسمين هما : السخرية من الملوك والأمـراء ، والسخرية من موظفي الدولة ومستخدميها .

أولاً : السُّخرية من الملوك والأمراء :

أينما ولّيت وجهك في صحف هذا العصر ، وجدت الشعراء يُـضحكون معاصـريهم على حكّامهم وأمرائهم . [2]

ومن قبيل النقد السياسي نقد الملوك الصغار الذين يُقلّدون الحكم وهم دون سن الرّشد ، فيتولى عنهم السلطة رجالٌ آخرون ، مما يؤدي إلى انتشارِ الفساد والفوضـى [3] وقـد أتـى الجزار على ذكر ذلك بحديثه عن الملك الأشرف [4] الذي كان طفلاً صغيراً على الحكـم فلـم يستطع تدبير البلاد ، يقول فيه : [5]

والملـك الأشـرف كـانَ طِفـلا فلـم يُـدَبّر عَقْـدها والحـلا

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصنّاع وأرباب الحرف** ، 125.

(2) ينظر : ضيف ، شوقي ، **في الشعر والفكاهة في مصر** ، 72.

(3) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 251.

(4) هو الأشرف بن الناصر يوسف بن محمد ، وليَ السّلطة بعد شجرة الدر وخُلع في نفس سنة توليه أي سنة 648هـ ، ينظر : ابن ظهيرة ، **الفضائل الباهرة** ، 44.

(5) ابن ظهيرة ، **الفضائل الباهرة** ، 44.

وقد نظم ابن الوردي أبياتاً حين تسطلن الملك كجك [1] وكان صـــغيراً ، حيــث قـــال فيه: [2]

سلطانُنَا اليومَ طفلٌ والأكابرُ فـي خُلْفٍ وبينـهُم الـشيطانُ قـدْ نزغـا
فكيـفَ يطمـعُ مَـنْ مـسَّتْهُ مظلمَـةً أنْ يبلغَ السُّؤْلَ والسلطانُ ما بلغا

لا يسخر الشاعِر في البيتين السابقين من قضية صغر الحاكم فقط ، بل تتعدى سخريته إلى الوضع الذي آلت إليه الأمور ، والوضع كالآتي : السلطان طفلٌ ، وهناك من يتسابق على الحكم عوضاً عنه ، والشيطان نازغٌ بينهم ، كلّ ذلك يؤدي إلى تدهور الأمور والبلاد ، وأيـــن الشعب من كل ذلك ؟! الشعبُ في حالةِ ضياعٍ وظلم ، فكيف يستطيع من مَسّته مظلمة من هذا الشعب أن يشكو أمره وان يبلغ سؤله ، وسلطانه لم يبلغ بعد ؟!

وقد سخر الشعراء كذلك من كثرة تغيير النواب وعزلهم فتوجّهوا في نقدهم أولاً نحـــو رأس الأمر ومن بيده مقاليد الأمور ، وهي الدولة متمثلةً بالـــسلطان ورجالـــه فـــي القـــاهرة العاصمة [3] وفي ذلك قال ابن الوردي : [4]

هــــــذي أمـــــــورٌ عظـــــــامٌ مِـــنْ بعـــضِها القلـــبُ ذائـــبْ
مــــا حــــالَ قطـــــرٍ يليـــــهِ فـــي كـــلِّ شـــهرينِ نائـــبْ

---

(1) هو الاشرف علاء الدين كجك بن الناصر بن محمد بن قلاوون ، تسلطن الملك سنة 742هـ ثم خلع من عامه وولي أخوه أحمد ولُقّب بالناصِر ، ينظر : ابن ظهيرة ، **الفضائل الباهرة** ، 46.و الحنبلي ، ابن عماد ، **شذرات الذهب** ، 236/8.

(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 222.

(3) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ، 165.

(4) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 482.

وقد كانَ على الناس أن يستقبلوا كلّ نائب جديد بأبهى حُلّــة ، وأن يزينــوا الأســواق والشوارع ترحيباً بقدومه ، وكانوا يجدون المتعة في ذلك بادئ الأمر ، لكن بعد أن كَثُر عليهم تغيير النواب اشتدَّ عليهم الأمر وثقل ، فصور ذلك ابن الوردي تصويراً ساخراً [1] بقوله : [2]

كــمْ ملــكٍ جــاءَ وكــمْ نائــبٍ يــا زينــة الأســواق حتــى متــى
قـد كـرروا الزينـة حتـى اللحـى مـــا بقيــتْ تلحــقُ أنْ تنبتـــا

وفي البيتين السابقين بيان لكثرة تغيير النواب ، ومبالغة في الأمر ، إذ يقول الــشاعر ساخراً أن اللحى لم تعد تحلق حين يأتي نائب جديد لأنها لا تكون قد نبتت بعد ، وكأن تغييــر النواب كل يوم .

ويأتي ابن الوردي على ذكر أسباب العزل والتَّغيير في قوله : [3]

ســاكني مــصرَ أيــنَ ذاكَ التــأنّي والتـــأبّي ومـــالكمْ عنـــهُ عـــذرُ
يخـسرُ الـشخصُ مالَـهُ ويقاسـي تعــبَ الــدهر والولايـــةُ شـــهرُ

يبين الشاعر في الأبيات السابقة أسباب عزل النواب وتغييرهم المتمثل في الرشـــوة ، فمن يدفع أكثر يكسب المنصب ، ويسخر الشاعر من هؤلاء الذين يقاسون ويخسرون أمـــوالهم وتعب سنينهم لينالوا الولاية ثم يخسرونها بعد شهر لأن راشٍ آخر يدفع أكثـــر مـــنهم وهكـــذا دواليك.

ومثلما بُلي الناس في العصر المملوكي بملوك وأمراء يطغون ويظلمون ويفـــسدون ، فقد بُلي الملوك والأمراء بشعراء ينتقدونهم ويسخرون منهم ، فقد تعرّض لنقدهم أكثر من واحدٍ من الشعراء[4] كالبوصيري وابن الوردي وابن دانيال وغيرهم ، وكانت هذه السخرية ســـلاحاً

---

(1) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ، 165.

(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 485.

(3) نفسه ، 491.

(4) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 214/7.

في محاربة الظلم والفساد ومقاومة الجور والطغيان ، أو على الأقل ، كانت تلفت الحكام إلـــى مثلِ هذه الأوضاع . (1)

ومن ذلك ما قاله ابن دانيال في أحد الأمراء الموكلين بجمع المال ، مُبيّناً مدى تعاليـــه وطمعه ، يقول فيه : (2)

ذا يُنـادي قـالَ الأميرُ أطلبـوا الدَّيـ ـــوانَ واســتَعجِلوا مَــعَ الكيّــالِ
فتُــوافي إليــهِ وَهْـوَ مِــنَ العَجْــ ـــبِ بـأنفٍ علـى الـوزارةِ عـالي
فينـــادي حُجّابُـــه أقبـــضوا لا تَقْبضوا دونَ قبضِ رسمِ الـوالي
وأحــذروا أنْ تُنَظّفـوا غلّــةً قــط بلــوحِ فـــي الـــرِّيحِ أو كِربـــالِ
فأنُـــادي إنْ كـــانَ لا بُــدَّ مـــن ذا فاقبـــضوها بطـــارةِ الزبّـــال

وفي هذه الأبيات يرسم لنا الشاعر صورة هذا الأمير الذي كان كلّ همَّه أن يطاع ولو كان أمرّه خاطئاً .

فهو لا يقبل إلا أن تُنَفّذ أوامره مهما كانت ، وفي ذلك يسخر ابن داينال من أمر الأمير القاضي بجمع الأموال مهما كانت طريقة الجمع بقوله : إن كان لا بد من ذلك فلتجمع بطـــارة الزّبالِ ، مستخدماً هذا التعبير السَّاخر لخدمة غرضه .

---

(1) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، <u>**المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول**</u> ، 245.

(2) الصفدي ، <u>**المختار من شعر ابن دانيال**</u> ، 197.

كما سخر الشعراء من مجون السلاطين ولهوهم ، ومن ذلك قول أحد الشعراء في السلطان حسن [1] والسخرية من حبّه للنساء وشغفه بهن حيث يقول : [2]

لمّا أتى للعادياتِ وزُلْزلت	حَفِظ النساء وما قرَا للواقِعهْ
فلأجلِ ذاك الْمَلكُ أضحى لم يكن	وأتى القتال وفُصِّلت بالقارعهْ
لو عامَل الرّحمن فازَ بكهفِه	وبنصْره في عَصْره في السّابعهْ
من كانتِ القيناتُ من أحزابه	عطعط به الدّخان نارٌ لامِعَه
تبّت يدا من لا يخافُ من الدّعا	في الليلِ إذ يغشى يَقع في النّازعهْ

لقد تفنَّن هذا الشاعر في السخرية من السّلطان ، مستعيناً بالسور القرآنية وأسمائها ليعبّر عن سخريته .

ففي البيت الأول يذكر حفظ السلطان لسورة النساء ونسيانه لسورة الواقعة ، مُبَيّناً من خلال هذه التورية بأسماء السور شغف السّلطان بالنساء وحبّه لهنَّ ونسانيه لآخرته .

كذلك نرى السخرية واضحة في البيت الرابع حيث يجعل الشاعر من قينات السلطات أحزاباً له .

وفي البيت الأخير يدعو الشاعر على هذا السلطان الذي لا يخشى عاقبة أمره .

وقد ذاق الناسُ من الأمراء كثيراً من النَّصب والظلم ، خصوصاً هؤلاء الذين يتظاهرون بالتقوى والصلاح مُتسترين بهذه الطريقة عن جرائمهم ، يقول ابن الوردي في ذلك: [3]

قدْ عَجَبْنا لأميرِ	ظلمَ الناسَ وسبَّحْ
فَهْوَ كالجزَّارِ فيهم	يذكرُ اللهَ ويذبحْ

(1) هو الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، ولي الملك سنة 748هـ ثم خلع في سنة 752هـ ثم عاد سنة 755هـ ، وظل سبع سنين وخمسة أشهر إلى أن قُتل ، ينظر : ابن ظهيرة ، **الفضائل الباهرة** ، 47.

(2) بردي ، ابن تغري ، **النجوم الزاهرة** ، 316/10.

(3) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 353.

فالشاعر يُجسّد المأساة التي كانت تعيشها العامة مع هؤلاء المماليك والناشئة عن المفارقة بين أهدافهم وهي أهداف شرعية ، وبين وسائلهم لتحقيقها وهي وسائل لا يُقرّها الشرع.[1]

وانتقد الشعراء كذلك الأوامر السُّلطانية الشديدة ، التي تلزم الناس بما لم يعهدوه ومن ذلك ما حدث سنة 667هـ حيث " أمر الظاهر بيبرس [2] بإراقة الخمور وتبطيل المفسدات والخواطىء بالديار المصريّة ، وكتب بذلك إلى جميع بلاده ، وأمسك كاتباً يُقال له ابن الكازاروني وهو سكران ، فصلبه وفي عنقه جرّة خمر " [3] فسخر ابن دانيال من ذلك قائلاً:[4]

لقد كانَ حَدُّ السكر من قبل صَلْبه	**خفيفَ الأذى إذا كانَ في شَرْعنا جلدا**
فلمّا بَدا المصلوبُ قُلتُ لصاحبي	**ألا تُبْ فإنَّ الحدَّ قد جاوز الحدّا**

" وهكذا يُسَجّل ابن دانيال واقعة التحريم وواقعة العقوبة ، بأسلوبه الفكه ، الذي لم يخلُ من النكتة ومن النقد ، إذ ذكر أنّ العقوبة قد جاوزت الحدَّ الذي رسمه الشرع".[5]

ومن هذا القبيل أيضاً بيتاه الآتيان : [6]

لَقدْ مَنَعَ الإمامُ الخمرَ فينا	**وَصَيّرَ حدَّها حدَّ اليماني**
فما جَسَرتْ ملوكُ الجنّ خوفاً	**لأجلِ الخمرِ تَدخُلُ في القناني**

---

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، أدب الصنّاع وأرباب الحرف ، 127.

(2) تولى الملك الظاهر بيبرس الملك سنة 658هـ ، واستمر في الحكم إلى أن توفي سنة 675هـ ، حيث انتقل الحكم بعده إلى ابنه السعيد ، ينظر : ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، 43.

(3) الحنبلي ، ابن عماد ، شذرات الذهب ، 564/7.

(4) الصفدي ، المختار من شعر ابن دانيال ، 105.

و حمادة ، إبراهيم ، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال ، 150.

(5) سليم ، محمود رزق ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، 327/7.

(6) الصفدي ، المختار من شعر ابن دانيال ، 53.

مَرّة أُخرى ، يسخر من هذه العقوبة ، متفكّها بأن ملوك الجنّ خافت من هذه العقوبة وخوف خسارة الخمر وضياعه عليها ما لبثت أن دخلت في القناني .

ويقول الوراق في هذه الحادثة : [1]

شـؤمُ أمِّ الخبائـث الخمـرِ شـومٌ جـاوزَ الحـدَّ فاسـتمع مـا يُعَـدُّ
فلَهـا فـي الـدِّنانِ حَـبْسٌ وللـرا ووق صَـلبٌ وللمعـاقر جَلْـدُ[2]

ويتفكّه الشاعر ناصر الدين بن النقيب في هذه المناسبة بسخريته مـن إبلـيس حيـث يقول:[3]

مَنَـع الظّـاهِر الحـشيش مـع الخمـرِ فـولّى إبلـيسُ مـن مـصر يـسعى
قـال : مـالي وللمقـامَ بـأرضٍ لـم أمتّـع فيهـا بمـاءٍ ومَرعـى

يسخر مورياً بقوله : " الماء والمرعى " يقصد الخمـر والحـشيش ، حيـث منعهمـا الظاهر في مصر مما أدى إلى رحيل إبليس منها خائباً حزيناً .

وللمعنى نفسه يشير القاضي ناصر الدين بن المنير بقوله : [4]

لـيسَ لإبلـيسَ عنـدنا طمَـعٌ غيـرُ بـلادِ الامير مـأواهُ
منعتـه الخمـر والحـشيش معـاً أحرمتـه مـاءَه ومرعـاه

---

(1) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 112.

(2) الدّن ما عظم من الرواقيد جمعه دنان ، وأما الراووق فناجود الشراب يصفى به ، أو الشار يتروق منه من غير عصر ، وأما المعاقر فهو المدمن على شرب الخمر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، المواد ، دَنن ، روق ، عَقَر .

(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 245/1-246.

(4) نفسه ، 246.

ويسخر شاعر آخر من إبليس بحثّه على ردّ الخمر وتوسيع الحيلة فـي ردّهـا ، وإلا نفقت سوق المعاصي وضاع أمر إبليس ، يقول : [1]

الخمـر يـا إبلـيسُ إن لـم تَقُـم وتوسِـع الحيلـة فـي رَدّهـا
لا نفقـت سـوق المعاصـي ولا أفلحـت يـا إبلـيسُ بَعْـدها

وفي النهاية ينعى ابن دانيال موت إبليس ، وينعاه حدسه ، ساخراً متحسراً على خلـو مجالس الأنس منه ، يقول : [2]

مـاتَ يـا قـومُ شـيخنا إبلـيسُ وَخَـلا منـهُ رَبعُـه المـأنوسُ
وَنَعـاني حَدسـي بـهِ إذْ تُـوُفّي وَلَعَمـري مماتُـهُ مَحـدوسُ

ومن هنا نرى كيف استقى الشعراء من هذا الأمر للسلطان الظاهر – القاضـي بمنـع الخمر وغيرها من المفاسد – مادةً للسخرية حَوّروها كيفما شاؤوا وانقلبوا فيها منقلبـاتٍ عـدة حتى ضربوا بعصى الهجاء والسّخرية إبليس شيخ المعاصي .

ويسخر الجزار من أمر الملك المعز أيبك [3] الذي جاءَ فيه منع أي امرأة الخروج بلا سراويل ، فقال الشاعر: [4]

حَنَـا الملـك المعـز علـى الرّعايـا وألـزمهم قـوانينَ المـروّة
وصـان حـريمهم مـن كـل عـارٍ وألبـسهم سـراويل الفتـوّة

---

(1) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 258.

(2) حمادة ، إبراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 151.

(3) هو الملك المعز عز الدين أيبك الحاشنكير التركماني الصالحي ، وهو أول ملوك الترك ، ولي الملك سنة 652هـ ، وقد كان مستبداً بملكه ، ينظر ابن ظهيرة ، **الفضائل الباهرة** ، 44. و المقزيزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، 463/1.

(4) المقزيزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، 487/1.

السُّؤال ، هل صان الملك الحريم من العار وصان كرامة رجـــالهم بـــإلزامهم قـــوانين المروّة ؟ هل كان الرّعايا بلا مروّة حقاً ؟ كلا . إنها السّخرية من هذا الأمر ومن هــذا الملــك الذي ظنَّ أنه بهذا الأمر سيحمي النساء ويصونهن ويصون بذلك ماء وجوه الرعايـــا ويحفــظ كرامتهم .

أما البوصيري ، فقد أصابَ حاكماً بالسخرية حين أَمَر هذا الحاكم بحلق نصف لحيـــة كل من خرج عن طاعته [1] يقول في ذلك : [2]

وَالّــذي حَلَــقَ أنــصافَ اللِّحَــى كــانَ فــي الأحكـامِ عَـدْلاً مُنْـصِفا
حَلَــقَ النِّــصْفَ بــذَنْبٍ حاضِــرٍ وَعَفــا بالنــصفِ عَمَّـــا سَــلَفَا

يصيب سهم السُّخرية الذي ألقاه الشاعِر صميم حُكم هذا الحـــاكم الـــذي أمـــر بحلـــق أنصاف اللحى ، حيث يخرج الشاعِر بتبريرٍ مضحك ساخِر لهذا الأمر بإعتبار أن حلق نصف اللحية كان جزاء ما ارتكبه المحكوم عليهم بالإثم ، وترك النصف الآخر كـــان علـــى ســـبيل العفو عما سلف من أعمالهم.

كُلّ ما سبق ، من ظلم المماليك وتعاليهم على الشّعب ، جعل بعض الشعراء يجـــأرون إلى الله تعالى بالدعاء والشكوى طالبين منه الانتقام من هؤلاء الملـــوك والأمـــراء الظـــالمين المُتعسّفين ، قانتين في صلواتهم عسى الله يُخلصهم منهم [3] ومن ذلك قول ابن الوردي في

---

(1) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 252.

(2) البوصيري ، **ديوانه** ، 158.

(3) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ، 167.

الأمير لؤلؤ القشندي [1] الظالم ، حيث يقول : [2]

قلبـــــي لعمــــــرُ اللهِ معلـــــولُ	**بمـــا جـــرى للنـــاس مــعْ لولــو**
يـــا ربٌّ قــدْ شــرَّدَ عنَّـــا الكــرى	**ســـيفٌ علـــى العـــالمِ مـــسلولُ**
ومـــا لهــذا الــسيفِ مِــنْ مغمــدٍ	**ســواكَ يـــا مَـــنْ لطفُـــهُ الــسولُ**

كلمات مرَيرة تخرج من قلب الشاعر ينفثها غاضباً مُبيناً مدى ظلم هذا الأميـــر الـــذي كان كالسيف الذي سُلّط على الناس ظُلماً وفساداً وليس لهذا السيف من مغمدٍ ســوى الله الــذي توجّه له الشاعر بالدعاء طالباً منه الرّحمة والخلاص من هذا الأمير .

واستجابَ الله سبحانه وتعالى لدعاء ابن الوردي ، ولدعاء الناس فَقبضَ على لؤلــؤ [3] وجُلِد بالسّياط حتى مات ، فارتاح الناس منه ومن ظلمه فقال ابن الوردي شامتاً ساخراً :[4]

ألؤلــؤُ قــدْ ظلمْــتَ النـــاسَ لكــنْ	**بقـــدْرِ طلوعِـــكَ اتفـــقَ النـــزولُ**
كبــرْتَ فكنـــتَ فـــي تـــاجٍ فلمَّـــا	**صــغرْتَ سُــحقْتَ سنـَةَ كـلِّ لولــو**

اسمُ الأمير ، كان الطريق إلى هجائه والسخرية منه ، حيث بَنى الشاعر موازنةً بـــين الاسم لؤلؤ واللؤلؤ المعروف ، فشبه لؤلؤ الأمير حين علا منصبه وعظم باللؤلؤ الذي يُرصّـــع التاج فيوضع على الرؤوس ، فإذا ما صَغُر سُحق تحت الأقدام وهذا ما حَصَل لهـــذا الأميـــر الذي ضاعت مكانته وانحطَّ قدره فصار تحت الأقدام ، وهذه سنة الحياة في المفارقة بين العِظم

---

(1) هو بدر الدين لؤلؤ القشندي ، صار أميراً على حلب فظلم ، مما جعل الناس يدعون عليه في صلواتهم ، ينظر : ابن الوردي ، **تتمة المختصر في أخبار البشر** ، 428/2 و 464.

(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 498.

(3) في عام 472هـ ، أي بعد عزل لؤلؤ القشندي ونفيه بعامين ، قُبض عليه وعوقب بدار العدل بحلب حتى مات ، فشمت به الناس ، ينظر : ابن الوردي ، **تتمة المختصر في أخبار البشر** ، 428/2-464.

(4) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 354.

المهانة ، ويشمت الشاعرِ من أمير آخر بقوله : [(1)]

مريـــــدُ القـــضا بـــالقرى لـــــهُ حلـــــبٌ قاعـــــدَهْ[(2)]
فيطلـــــعُ فـــي ألفِـــــه وينـــــزلُ فــــي واحـــدِهْ

يشير الشاعر هنا إلى علو مكانة بعض الناس وارتقائهم المناصب الهامة مـن خـلال الرشوة التي لا تقيهم زوال هذه المكانة ولا تصون وجوههم من المذلة بعـد الرّفعـة . فهـذا المهجو قد طلع في ألف دينار رشوة ولكنه سقط فجأة.

ويسخر الوداعي من الملك غازان [(3)] حيث يقول فيه عندما مات : [(4)]

قـد مـاتَ غـازان بـلا مِريَـة ولـم يَمُـت فـي المدد الماضِية
وكانـت الأخبـار ومـا أفـصحت عنـه فكانـت هـذي القاضـية

يظهر من الأبيات السابقة أن أخباراً وشائعات دارت حول موت غازان أكثر من مَـرّة وتبيّن كذبها ، فيشمت الشاعر حين تأكد من موت الملك وكأنه يقول أخيراً هذي القاضية.

أما إبراهيم المعمار فيسخر من الأمير الظالم قوصون[(5)] الذي صُلب حيث يقول : [(6)]

شَـخصُ قوصـون رأينـا فـي العلاليـق مُـسَمّر
فعجبنـا منـه لمّـا جـاءَ فـي التَّـسمير سُـكَّر[(7)]

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 336.

(2) المريد : الخبيث ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة مَرَد .

(3) هو غازان محمود بن أرغون اسمه محمود ، ويقوله الناس قازان ، كان جلوسه على الملك سنة 693هـ ينظر : العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 212/3.

(4) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 214/3.

(5) هو قوصون السامي الناصري ، كان نائباً للسلطنة في أيام المنصور واستمر في هذا المنصب أيام الاشرف كجك ، وقد استبد بتدبير السلطنة ، قتل في محبسه بالأسكندرية سنة 742هـ ، ينظر : العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 258/3.

(6) المعمار ، إبراهيم ، **ديوانه** ، ق 14.

(7) التّسمير: أسلوب من أساليب القتل ، فيه يحكم المصلوب عليه بالإعدام ، فتدق أطرافه بالمسامير على خشب مصلّب ، ويبقى مسمّراً حتى يموت ، يوسف ، خالد إبراهيم ، **الشعر العربي أيام المماليك** ، 542

" وهو يشير هُنا إلى ما فعله العامة والحرفيون وصانعو الحلوى خاصةً ، الذين جعلوا تماثيل على هيئة قوصون من السُّكر وعلّقوها على أبوابِ محلاتهم ، تشفياً منه وفرحاً بموته" [1].

كل ذلك من ظُلم المماليك كما قلنا – جعل الناس يتشفون بموتهم ، مهنئين بعضهم بعضاً إذا ما قتل أحد البغاة أو عُزل ، ومن ذلك قول ابن مطروح إثر عزلِ والٍ تبعه نزول المطر ، فسخر من ذلك مستغلاً الترابط بين الأمرين بقوله : [2]

ورُبَّ والٍ سَرّنا عَزلَه فبعضنا هَنّأه البعضُ
قد واصلتنا السحب من بعدهِ ولذّ في أجفاننا الغمضُ
لو لم يكن من نَجَسٍ شخصه ما طُهّرت من بعده الأرضُ

انظر إلى براعة هذا الشاعر في استغلاله لهذه الظاهرة الطبيعية وإبداعه في الربط بينها وبين تطهير الأرض من هذا الوالي الظالم .

ولكن في بعضِ الأحيان تجري الرّياح بما لا تشتهي السُّفن ، و من ذلك أن يُسَرّ الناس بزوالِ دولةٍ ولكن سرعان ما يُبتلوا بأنحسن منها ، وهذا ما جاء على ذكره البهاء زهير ، بقوله : [3]

دَولَةٌ كَم قد سَألنا رَبَّنا التَعويضَ عَنها
وَفَرِحنا حينَ زالَت جاءَنا أنحَسُ مِنها

(1) محمد ، محمود سالم ، **أدب الصنّاع وأرباب الحرف** ، 126..
(2) المقّري : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، 5/88-89.
(3) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 377.

ثانياً : السُّخرية من موظفي الدولة :

لمّا كانَ هناك من السلاطين والملوك في العصر المملوكي من هم فاسدون وظالمون ، فمن الطبيعي أن يسري السوء إلى بقية موظفي الدولة ، وينتشر بينهم ، ويصبح وجودهم لا يُحقق غايته [1] كيف لا ... والسلطان منصرفٌ عن متابعة عمله وتفتيشه ومراجعته ، والقيّم على أعماله هو المستخدم الذي أصبح بمثابة الرئيس الفعلي في تأدية أمور الحكم ، والمتصرف الأول فيما يعرض على رئيسه ، الأمر الذي أدى إلى الاضطراب والفساد . [2]

" وطبيعي أن يتفشّى هذا الشّره ، وتسري عداوة من الكبير إلى الصّغير ، فيصبح كلّ من ولي أمراً من أمور الناس وقد أعْمَل يده في السلب والنهب مُستغلاً منصبه ، محتمياً به ، لا يردعه خلق ، ولا ترفعه همّة " . [3]

بناءً على ما تقدم ، من المؤكد أن القيم ستنهار ، والأخلاق والدّين سيختفيان ليحلّ محلّهما الاستبداد والظلم وأكل الأخِ لحمَ أخيه بلا رادعٍ أو مانع ، يقول ابن دقيق العيد في هؤلاء الناس : [4]

فإن تخالط منهمُ مَعْشراً هَوَيتَ في الدّين على الرّاسِ
يأكُلُ بعضهم لحمَ بعضٍ و لا يَحْسِبُ في الغيبة من باسِ
لا ورعٌ في الدين يحميهمُ عنها و لا حِشْمَةٌ جُلاَّس
لا يعدم الآتي إلى بابهمْ من ذلة الكلب سوى الخاس

صورة قاتمة مريرة لهؤلاء الناس ، يَخطّها ابن دقيق العيد ساخراً من قلّة ورعهم وانعدام أخلاقهم مفضلاً البعد عنهم لأن من يُخالط معشراً منهم يهوِ في دينه على الرأسِ .

---

(1) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ،

(2) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 245/7.

(3) أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 135.

(4) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 204/4.

ولعلَّ أكثر الشعراء انتقاداً لموظفي الدولة ومستخدميها هو البوصيري ، الـذي نظـم قصيدة فَضَح فها موظفي الدواوين وغيرهم ، ومنها قوله : [1]

أمَولاَنــا الــوزيرَ غَفَلْــتَ عَمَّــا يَهُــمُّ مِــنَ الكِــلابِ الخَائِنِينــا

يصيب البوصيري بسهم هجائه وسخريته أمرين : الأول غفلة الوزير عن موظفيــه ، والثاني لؤم الكاتبين وأفعالهم ، فالشاعِر هُنا ينتقد سكوت الوزير عن هؤلاء اللئــام الكــاتبين ، ويسخر من غفلته وعدم ضربه على أيديهم [2] ومن انتقاده لموظفي الدولة قوله : [3]

ثكِلْـــتُ طوائِـــفَ المُـــسْتَخْدَمِينا فلَـــمْ أرَ فِـــيهمُ رَجُـــلاً أمِينـــا
فخُـــذْ أخْبَـــارَهُمْ مَنِّـــي شِـــفاهاً وَأنْظِرْنـــي لأُخْبِـــرُكَ اليَقِينـــا[4]
فقَــدْ عَاشَــرْتُهُمْ وَلَبِثْــتُ فِــيهمْ مَـعَ التَّجْرِيـبِ مِـنْ عُمْـرِي سِـنينا

عَمَلُ البوصيري في الدواوين ، ومعاشرته للمستخدمين سنيناً طويله ، جعلته يحفظهــم عن ظهر قلب ، لذلك فهو خيرُ من يتحدث عنهم ويخبر أخبارهم ، فيقول بلسان الواثــق أن لا أمين فيهم على الإطلاق لذلك يرى ألا يوثقَ بهم ، ويواصل هجومه علــيهم منتقــداً أفعــالهم ساخراً منها ، مؤكداً على ضرورة نزاهة أتباع المستخدم قبله لتأكيدِ عفتــه ، لأن العفيــف لا

يرضى بالثراءِ المشبوه لأتباعه [5] يقول : [6]

فـلا تَقْبَـلْ عَفَـاف المَـرْءِ حَتَّـى تَـــــرَى أتْباعَـــــهُ مُتَعَفِّفِينـــــا

---

(1) البوصيري ، **ديوانه** ، 251.

(2) ينظر : سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 237/7.

(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 250.

(4) تضمين من بيت عمرو بن كلثوم : أَبا هِندٍ فَلا تَعجَل عَلَينا وَأَنظِرنا نُخَبِّركَ اليَقينا . ابن كلثوم ، عمرو ، **ديوانه**،82.

(5) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 243.

(6) البوصيري ، **ديوانه** ، 253.

ويتحدث عن الجباة الذين يحصلون الضرائب ، فينهبون ويسلبون ، فيقول : [(1)]

أَقَــامُوا فــي الــبِلادِ لهُــمْ جُبــاةً　　　لِقَــــبضٍ مُغَلِّهــــا كالمُقْطعينـــــا

فهو يشبههم بقطاع الطرق الذين ينهبون مال غيرهم ، ويسرقون تعبَ الناس ورزقهم.

ثم يحدّثنا عن ردة فعل الناس الذين صاروا يدفعون الرشاوى لهؤلاء الجبـــاة حتـــى لا يسرقوهم ولكي يبتعدوا عنهم ، فأصاب الطمع قلوب الجباة فَرابعوا الناس أو ناصفوهم رواتبهم ومعاشتهم ،حتى أنهم كادوا يأخذونها كلها دون ترك شيء لأصحابها [(2)] فيسخر من هذا الأمر سخرية مُرّة بقوله : [(3)]

عـــذَرْتُهُمْ إذَا بـــاعُوا حَـــوالا　　　تِهِـــمْ بـــالرُّبْعِ لِلْمُــــسْتَخْدِمِينا
وَأعْطَــوْهُمْ بهــا عِوَضــاً فكــانُوا　　　لِنِــصْفِ الرُّبْــع فيــهِ خاسِــرينا

فهو يعرض لنا خسارة العامة على أيدي الجباة الطاغين ، ويلتفــت البوصــيري إلـــى الجسم القضائي فيراه غارقاً في الضّلال ، يقول في ذلك : [(4)]

تَحَيَّلَـــتِ القُــضاةُ فَخــانَ كُــلٌّ　　　أماَنتَـــــهُ وَسَـــــمَّوْهُ الأمِينـــــا
وَكَــمْ جَعَـلَ الْفَقِيــهُ الْعَـدْلَ ظُلْمــاً　　　وَصَـــيَّرَ بَـــاطِلاً حَقَّـــاً مُبِينـــا
ومــا أَخْـشَى عَلَـى أمْـوَالِ مِـصْرٍ　　　سِـــوَى مِـــنْ مَعْــشَرٍ يَتَأوَّلُونـــا

الخيبة في القضاة هي الأشدُّ إيلاماً على الإطلاق ، فمن المفترض أن يكونوا اليد التـــي تكفّ المظالم عن الناس والتي تقيم العدل ، فإذا ظلموا ، فالمصيبة فيهم مُضاعفة [(5)] لذلك لـــم يتهاون البوصيري في فَضْحِ حقيقتهم وتمزيق ستار الورع والتقوى المزيف الذي يحتمون به ، ولم يتورع في السخرية منهم ومن التناقض في شخصيتهم حيث يخفون عكس ما يظهـــرون ،

---

(1) نفسه ، 251.

(2) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 243.

(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 251.

(4) نفسه ، 252.

(5) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّناع وأرباب الحرف** ، 128.

فهم في جوهرهم أسوأ ما يكون ، خوَنَةٌ ظالمون مُبدّلين للحقـائق ، ولـذلك أعظـم مخـاوف الشاعرِ هي منهم ، وبرأيه الخشية كل الخشية على أموال مِصر مـن هـؤلاء الكذبـة الـذين ينافقون ويتأوّلون .

وفي قصيدة أخرى له يسخر من الفوضى في الدواوين ، حيث الجميـع قـد غيّـروا القوانين ، يقول : (1)

انْظُـرْ بحَقّـكَ فـي أمْـرِ الـدَّواوينِ	**فالكلُّ قد غيَّرُوا وضْعَ القـوانينِ**
لَمْ يَبْقَ شَيءٌ عَلَى ما كُنْتَ تَعْهَدُهُ	**إلاَّ تَغَيَّــرَ مِــنْ عــالٍ إلَــى دُونِ**
الكــاتِبُونَ وَلَيْـسُوا بــالكِرامِ فمــا	**منهمْ على المـالِ إنْسانٌ بمَأمُونِ**

ويحثُّ في القصيدة نفسها السلطان على عدم إئتمان هـؤلاء المـستخدمين الـسّارقين بقوله: (2)

لاَ تَـأمَنَنَّ عَلَـى الأمْـوَالِ سَـارِقَها	**ولا تُقَـرِّبْ عَـدُوَّ اللهِ والـدِّينِ**

في كثيرٍ من الأحيان يكون " حاميها حراميها " (3) لذلك يجب الحـرص مـن هـؤلاء الذين يفترض بهم الحماية والحراسة فيسرقون ما يحرسون .

وقد سخر البوصيري من المحتسب الذي يتولى أمر كتابة الحساب عند الباعة مستعيذاً بالله من أن يكون مثله بقوله: (4)

أعُـوذُ باللّـهِ أنْ أكُـونَ كَمَـنْ	**تَغْلِبُـهُ فـي الرَّقاعَـةِ الرَّغْبَـهْ**
يمـشي بهـا والـصِّغارُ تُنْـشِدُهُ:	**أميرُنـا زارَنـا بـلا رَكْبَـهْ**
وَمـا يـزالُ الغُـلامُ يَتْبَعُـهُ	**بـدرَّةٍ مِثْـلَ رَأسِـهِ صُـلْبَهْ**
وَهْوَ يقـولُ : افْسَحوا لِمُحْتَسِبٍ	**قد جاءكم مِنْ دِمَشْقَ في عُلْبَهْ**

---

(1) البوصيري ، **ديوانه** ، 259.

(2) نفسه ، 261.

(3) حجازي ، أحمد توفيق ، **موسوعة الأمثال الفلسطينية** ، 151.

(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 55.

فهو يصور لنا دخول المحتسب السوق ساخراً من هيئته ودخوله واحتــشاد الــصغار حوله منشدين زيارته بلا ركبه وتتبعع بعضهم له وإفساحه المجال له ، كل ذلك بأسلوب ساخرٍ كله تهكم .

ويكمل الشاعر موضحاً رأيه بهذا المحتسب بقوله : (1)

قلـتُ لهـم : عنـدَ صـاحبي حُمـقٌ   فــي كُـلِّ حـينٍ يُلْقِيــهِ فــي نَكْبَــهْ
حَــــصَّلَ مــــالاً جَمَّـــاً وعَـــدَّدَه   مِنْ أصلِ مَالِ الزَّكـاةِ والوهْبَـهْ(2)

فهو يسخر من هذا المحتسب الذي يسرق الأموال تحت اسم الزكاة والهبات ، فيجمعها ويحصل مالاً وفيراً أصله مال حرام وسرقة .

وسخر ابن الوردي من محتسبٍ مثلما سخر سابقه مُبيّناً اســتغلاله للباعــة وســرقاته بقوله:(3)

تــولى النـــاسَ محتَــسبٌ غلــيظٌ   فقامـتْ للغلا فـي الـسوق سـوقُ
ولـو عزلـوه جـاءَ الـرخصُ يسعى   إذا عُــزل الغلــيظُ أتـــى الــدقيقُ

يتهم الشاعر المحتسب في البيتين السابقين برفعِ السلعة أو المساعدة على رفع الأسعار بوسيلةٍ ما (4) للكسب من وراء ذلك ، فيدعو إلى عزله بأسلوبٍ فكه ساخر .

ويتحدث ابن الوردي عن الرشوة فيخاطب من وصل إلى منصبه بالرشوة قائلاً : (5)

نحــــنُ قـــومٌ مـــا ولينـــا   بالرِّشـــــا مثــــــلَ فعالـــــكْ
بــــــل بعلــــــمٍ واجتهــــــادٍ   ومَــــــا أشــــــبهَ ذلـــــكْ

---

(1) نفسه ، 55-56.

(2) أخذ البوصيري هذا المعنى من قوله تعالى : "‰$#ϑ “ dì B$#ϑ rã&Š¤ç¼" سورة الهمزة ، آية 2.

(3) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 277.

(4) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ، 167.

(5) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 278.

ويظهر أنّ الرشوة تحوّلت إلى أتاوةٍ دورية لضمان استمرارية الإنسان في عمله ، فمن يبذل أكثر يكون أحق بالولاية ، هذه هي المعادلة ، فقال ابن الوردي في شخصٍ لم يقبل إعطاء الرشوة ، فكان مصيره العزل ، رابطاً الأمر بعلم النحو ربطاً طريفاً [1] بقوله : [2]

عزلـــوكَ لمَّـــا قلـــتَ مـــا أعطـــي وولَّـــوا مَـــنْ بَـــذَلْ
أوَ مـــا علمـــتَ بـــأنَّ "مـــا" حـــرفٌ يكـــفُّ عـــنِ العمـــلْ

أما ابن النقيب فيوجه سخريته نحو الوزير نفسه ، و يطلق هذه السخرية سافرةً بـــدون خوف أو حذر ، بقوله : [3]

أبلـــم قلّـــدوه أمـــر الرّعايـــا وهــو فــي حيلــة الــوزارة عُطــل
فهـو بـالبوق فـي الـوزارةِ طبـلٌ وهو في الدّست حين يجلس سَطْل

ويقول في ناظرٍ : [4]

قــالوا : فـلانٌ نـاظِرٌ فأجبـتُ مـا نـــاظرٌ إلا إلـــى أعطافـــه
لم يدرِ مسح الأرض قلت أزيدكم أخـرى ولا مـسحاً علـى أطرافـه

هنا يسخر الشاعر من رقلَّة دين الناظر المتمثلة بعدم معرفته طريقة الوضوء واهتمامه بمظهره الخارجي .

---

(1) ينظر : نفسه ، 167.

(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 149.

(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 327/1.

(4) نفسه ، 326/1.

الفصل الخامِس

السُّخرية لأسباب دينية في الشعر

تمهيد .

أولاً : السُّخرية من سلوكيات المتصوفة .

ثانياً : السُّخرية من التطاول على الشريعة .

ثالثاً : السُّخرية من أهل الذّمة .

جعل الشعراء من السُّخرية مِهاداً وطريقاً سلكوه للإفصاح عن مكنوناتهم ، وللتنفيس عما يدور ويجول في خواطرهم ، وهم بعينهم الناقدةِ ولِسانهم السّليق وقلوبهم المتوقدة وأذهانهم المنفتحة كانوا أقدر الناسِ على كشفِ العيوب وفضح المفاسدِ والرذائل .

وفي مجال البيئة الدّينية في العصر المملوكي ، كان هُناك الكثير مما يُقال ، فأطلق الشعراء العنان لألسنتهم في فضح ما وراء السّتار الديني وإجلائه أمام ناظر الناسِ أجمعين .

ومن المذاهب التي سخر منها الشعراء سنتحدّث عن المتصوفة .

ومن الفئات سنلقي الضوء على السّخرية على من تطاول على الشريعة الإسلامية السّمحة .

ومن الطوائف سنتحدث عن سخرية الشعراء من أهل الذّمة ، والمستخدمين من الأقباط.

وفيما يلي بيانٌ لذلك :

أولاً : السُّخرية من المتصوفة :

ازدهرت حركة التصوف في الدول المملوكية ، والحقيقة أن المماليك قد روّجوا لهذا التيار واحتفوا به ، فأسسوا لهم المدارس وأوقفوا عليها الأوقاف ، ولكن ذلك لم يكن في زهادةٍ منهم في شيء ، وإنّما هو صرفٌ للناسِ عن الدنيا ليستأثروا بها وحدهم . (1)

---

(1) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 164.

وقد تنبّه فريقٌ من الشعراء لما يرمي إليه المماليك فسخروا منهم ، ومن ذلك قول محمد بن أحمد الاسكندراني المعروف بابن الفويه حيث يقول : [1]

أعجامنا قد أصبحت قلوبهم   وجداً بحبّ الخانقات خافِقه[2]
لا تعجبوا فكلّ كلبٍ نابحٍ   ولا يحبُّ الكلب إلا خانِقه

يسخر الشاعر من اهتمام المماليك الأعاجم بالمتصوفة ووجدهم وحبهم لخانقاتها ، ويزيد من سخريته ببناء تورية في كلمة " خانقه " حين يقول لا يحب الكلب إلا خانقه وفيها يسخر من الطرفين : الأعاجم والمتصوفة .

ومن الشعراء من اتّهم المتصوفة بالكفر والزّندقة ورماهم بالبطالة والفساد والكسل ، ومنهم من رماهم بسهامه فأوسعهم سبّاً وسخريةً [3] وذلك ما نراه عند فتح الدين ابن سيد الناس الذي رماهم بفاحشِ القول ، وهجاهم شر هجاء بقوله : [4]

ما شروط الصّوفي في عصرنا اليو   مَ سوى ستة بغير زيادهْ
وهي ... [5]العلوق والسُّكر والسط   لة والرقص والغنا والقيادَهْ

يسرد لنا الشاعر الشروط الواجب توافرها فيمن يلتحق بالمتصوفة أو يكون منهم ، وهي صفات موغلة في الفحش ، كل صفةٍ أنكى من الأخرى .

ويكمل قوله : [6]

وإذا ما اهتدى وأبدى اتحاداً   وجميلاً من خلوةٍ وأعادهْ
وأتى المنكرات عقلاً وشرعاً   فهو شيخُ الشيوخ ذو السّجادهْ

---

(1) الصفدي ، **الوافي بالوفيات** ، 154/2.

(2) الخانقاه : رباط الصوفية ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة خَنَق.

(3) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 15.

(4) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 291/3.

(5) يصعب ذكر الكلمة لشدة فحشها .

(6) الكتيبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 291/3.

ويرى محمود رزق سليم أن الشاعرِ جعل المتصوفة في هذين البيتين أنكى من اقترف الخطايا والمنكرات ، حيث يبذلون الحيلة في تسويغها عقلاً ونقلاً ، ويعتبر أن هذه هي الهــوة الأظلم التي قد يطيح بها المرء بنفسه ، ولكن هكذا كان وما زال يدين بعض مُدعي المتــصوفة وزاعميها . [1]

وقد اشتد المعمار في مهاجمة المتصوفة الذين كـــان مـــن المفتــرض بهــم اســتقبال المحتاجين في خانقاتهم ، ولكن بعضهم لم يفعل ذلك ، فكانوا يــأوون مــن يــروق لهــم [2] فيقول:[3]

قــد صَــار فــي الخانقــاه عُــرفٌ مــن فعلهــم وهــو شَــرٌّ عــادهْ
لا يـــدفعون النـــصيب فيهـــا إلا لمـــن تـــرك الـــشّهادهْ

ويتحدث عمن يدَّعون العبادة والزهادة بقوله : [4]

فـــلانٌ والجماعـــة عـــارفوه وإن أبـــدى العبـــادة والزّهـــادهْ
يمــوت علــى الــشهادةِ وهــو حــيٌّ إلهــي لا تُمتــه علــى الــشَّهادةْ

وفي مثل هذا القول يصفهم البهاء زهير بقوله : [1]

كَـم أُنــاسٍ أظهَـروا الزُهـدَ لَنــا فتَجــافوا عَــن حَــلالٍ وَحَــرامِ
قلَّلــوا الأكــلَ وَأبــدَوا وَرَعــاً وَاِجتِهــاداً فــي صِــيامٍ وَقِيــامِ
ثُـــمَّ لَمّــا أمكَنَــتهُم فُرصَــةٌ أكَلـوا أكـل الحزانـى فـي الظَـلامِ

هنا يفضح البهاء زهير حقيقة هذه الفئة من الزهاد المتصوفة فيبــين أنَّ علينــا أن لا نغتر بظاهر أعمالهم من الاجتهاد في الصيام والقيام لأنهم ما أن يختفوا عن أنظار العامة فإنهم يأكلون أكل الحزانى في الظلام ، أي يأكلون بشراهة .

---

(1) ينظر : **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي** ، 257/7.

(2) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصنّاع وأرباب الحرف** ، 134.

(3) ابن المعمار ، إبراهيم ، **ديوانه** ، ق 10.

(4) نفسه ، ق 10.

ولربما كان الورع وإظهار التقوى يومئذٍ وسيلةً يتّخذها البعض ستراً لبلـوغِ أهـدافهم وللوصول إلى آمالهم في الحياة . [2]

ويصف الشاعر ابن تيمية المتصوفين بأهل الكسل فيقول ساخراً على لسانهم : [3]

والله مـا فقرنـا اختيـار وإنّمـا فقرنـا اضـطرار
جماعـةٌ كلّنـا كُـسالى وأكْلنـا مالـه عيـار
تـسمع منـا إذا اجتمعنـا حقيقـةً كلهـا فـشار

يعزي الشاعر فقر المتصوفة إلى كسلهم وكثرة أكلهم ، ويشير إلى ما هم عليه مـن كذب وادعاء في قوله إن كلامهم كله فشار ، يسوق كل ذلك على لـسانهم بأسـلوبٍ هزلـي ساخر.

ويتهكم بهم جوبان القوّاس ، ويورد بعض تعابيرهم الخاصة بهـم والتـي لا يفهمهـا العامة ، مُنتهياً إلى أنهم أنفسهم لا يفهمون ما يقولون [4] يقول في ذلك : [5]

مُـتُّ فـي عـشقي ومعـشوقي أنـا ففـؤادي مـن فراقـي فـي عَنَـا
غبـتُ عنـي فمتـى أجمعنـي أنـا مـن وجـدي منـي فـي فَنَـا
أيّهـا الـسّامع تـدري مـا الـذي قلـت : والله ولا أدري أنـا

تتشابك الألفاظ ، وتمتزج الصّور ، ويتوحد القائل والمخاطب ليصبحا شخصاً واحـداً يُجري حواراً مع نفسه عن نفسه ، ينطق بالنهاية معترفاً بعدم درايته وفهمه لما يقول ، فكيـف من يسمعه ؟!

---

(1) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 238.

(2) ينظر : بدوي ، أحمد أحمد ، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** ، 283.

(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 80/1.

(4) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصنّاع وأرباب الحرف** ، 134.

(5) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 305/1.

أما ابن دانيال فيسخر من المتصوفة بأسلوبه ، حيث يعاتب صديقاً له تصوّف ويطالبه بالعدول عن هذا الأمر ومن ذلك قوله : [1]

لا تَقُلْ قدْ لبستُ صوفاً فإنَّ   الكبشَ حلبابُهُ مَعَ القرن صوفُ
يُطربُ الضأنَ وَهْوَ مثلُكَ في الأل   حان أسماعُ قومه والخروفُ
طارَ منكَ المقصوصُ في حلقكَ الرأ   سَ لزُهد وفاتَكَ المنتوفُ

ثم يترجاه العودة بقوله : [2]

أترجّى منكَ الرجوعَ قريباً   طمعاً فيك والمحبُّ عطوفُ

ويطالبه بالرّجوع إلى قومه الخالعين الماجنينَ بقوله : [3]

قُمْ تَوَكّلْ على الغفورِ وَوَافِقْ   قومكَ الخالعينَ يا قِصّيفُ[4]
فلديهم خاءٌ وميمٌ وراءٌ   أي شيء بالله هذي الحروفُ

وقبل ختام حديثنا عن السخرية التي لحقت بالمتصوفة ، لعلَّ من الإنصاف أن نعكس رأي المتصوفة في الفقهاء وذلك على لسان البوصيري الذي يقول : [1]

قُل لِلَّذينَ تَكلَّفوا زيَّ التُّقى   وَتَخيَّروا لِلدَّرسِ ألفَ مُجَلَّدِ
لا تَحْسَبُوا كُحْلَ العُيُونِ بحِيلةٍ   إنَّ المَهَا لَمْ تَكْتَحِلْ بالإِثمِدِ
ما النَّحْلُ ذُلِّلَتِ الهِدَايَةِ سُبْلَهَا   مِثْلَ الحَمِيرِ تَقُودُها لِلْمَوْرِدِ

يعرض البوصيري للمفارقة بين المتصوفة وغيرهم ممن يُعَاديهم فالنّحل التي ذلل الله لها سبل الهداية ليست كمثل الحمير التي تُقاد إلى المورد دون أن تعرف طريقها .

ثانياً : السُّخرية من التطاول على الشريعة :

يظهر في كلّ عصرٍ من العصور من يرتدون عن الإسلام أو يستهترون ببعض أحكامه وتعاليمه ، ويجاهرون في ذلك ، وكذلك الحال في العصر المملوكي حيث ظهر مثل

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 86.
(2) نفسه ، 85-86.
(3) نفسه ، 87.
(4) القِصيف من القصف وهو الخلاعة والمجون ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة قَصَف.

هؤلاء بكثرة ، ما دفعَ كثير من الشعراء إلى الوقوف في وجوههم وصدّهم ، وفضح توجهاتهم، وقد تناولوا ما كانوا يقومون به بسخرية ومن ذلك ما قيل في ابن البقّي [2] رجل تطاول على الشريعة وأنكرها حتى وصلَ به الأمر إلى الكفر بها[3] فسلَّ ابن دانيال سيف هجائه السّاخر وقال فيه : [4]

لا تَلُم البقيَّ في فِعْلِهِ إنْ زاغَ تَضليلاً عن الحقِّ
لو هذَّبَ الناموسُ أخلاقَهُ ما كانَ منسوباً إلى البقِّ

يبني الشاعر صلة بين اسم مهجوّه والحشرات المؤذية المعروفة بالبق ليبين لنا استحالة تهذيب نفس هذا الشخص الذي لا يلومه الشاعِر لزوغانه عن الحق لأنه أساس البق.

ولمّا سجن القاضي المالكي هذا الكافر سخر منه ابن دانيال مرَّة أخرى بقوله : [5]

يَظُن فتى البَقَقِيْ أنّهُ سَيَخْلَصُ من قبضَةِ المالكي
نَعمْ سوفَ يُسلمهُ المالكيُّ قريباً ولكن إلى مالك

وهناك صنفٌ من الناس من يدّعي معرفة الفلسفة ، ويتعمّق فيها ، فيوصله ادعاؤه إلى إنكار الخالق – سبحانه وتعالى – حيث يعتمدون في فلسفتهم على المعقول لا المنقول [6] فَسفه البهاء زهير ممن يدعي العلم والفلسفة وسخر ممن يكفر بالرحمن بقوله : [7]

وَجاهِلٍ يَدَّعي في العِلمِ فلسَفَةً قد راحَ يَكفُرُ بالرَحمَنِ تَقليدا
وَقالَ : أعرفُ مَعقولاً فقُلتُ لَهُ عَنَّيتَ نَفسَكَ مَعقولاً وَمَعقودا

---

(1) البوصيري ، **ديوانه** ، 97-98.

(2) هو أحمد بن محمد فتح الدين بن البققي الحموي ، أُقام بمصر وكان متستخفاً بالقرآن والشرع فضرب القاضي المالكي عنقه سنة 701هـ ، ينظر : الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 152/1.

(3) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصّنّاع وأرباب الحرف** ، 33.

(4) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 153/1.

(5) نفسه ، والصفحة نفسها .

(6) ينظر : بدوي ، أحمد أحمد ، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** ، 283.

(7) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ،

مِن أينَ أنـتَ وَهَذا الشَيءَ تَذكُرُهُ   أراكَ تَقـرَعُ بابـاً عَنـكَ مَـسدودا
فَقـالَ : إنَّ كَلامـي لَـسَتَ تَفهَمَـهُ   فَقُلـتُ لَـستُ سُـلَيمانَ اِبـنَ داوُدا

يصف الشاعر هذا الداعي بالجاهل ، ويحاوره ويناقشه فـي مـسألة الاعتمـاد علـى المعقول فيحوّر الشاعِر في الكلمة ليجعل معناها معقوداً وبها يعني هذا الشخص الكـافر فهـو معتقلٌ رهين أفكاره الزائفة وحبيسها وفي النهاية يجعل الشاعر في عدم فهمه لكلام هذا الداعي من هذا الأخير حيواناً ، وللأسف ، فإن الشاعر ليس سيدنا سليمان وبالتالي لـن يفهـم كـلام الحيوان .

ثالثاً : السُّخرية من أهل الذّمة :

ساد جَوّ من التّوتر العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة طوال العصر المملوكي ، ومن العوامل التي ساعدت على خلقِ هذا التوتر الحروب الصليبية ، وما ارتكبه الصليبيون من أهوال ، جعلت مشاعر المسلمين تفيض بالمرارة ، وبالتالي خَلْق ردَّ فعلٍ عنيفٍ تجاه أهل الذّمة في بلادهم . [1]

ومن هنا جاء دور الشعراء الذين هَبّوا بأشعارهم يهجون الأقباط هجاءً لاذعاً ، وخيرُ مثالٍ على هؤلاء الشعراء البوصيري الذي كان شعره صفحةً انطبعت فيها مشاعره ومشاعر المسلمين نحو أهل الذمة [2] ويقول في قصيدةٍ له : [3]

إنَّ النَّصارَى بالمَحَلَّةِ وُدُّهُمْ   لو كانَ جَامِعُها يكونُ كَنِيسا[4]
أتُرَى النصارَى يَحْكُمُونَ بأنَّه   مَنْ باشَرَ الأَحْباسَ صارَ حَبِيسا

حيث يبين الشاعر لولي الأمر وحاكم البلاد خبث النّصارى ، ويدخل إلى سرائر نفوسهم ليبين ماهية تفكيرهم ومدى كرههم للإسلام فهم يتمنون أن تتحول المساجد في المحلة إلى كنائس .

وبعد هذا التّوضيح يرجو الشاعر ولي الأمر بصرفهم وعدم استخدامهم بقوله : [5]

صَرَفَ الإلهُ السُّوءَ عنكَ بِصَرَفِهِ   فاصْرِفهُ عَنَّا واصفَع القِسِّيسا
أقْدِي بِهِ المُسْتَخْدَمِينَ وإنَّما   أقْدِي بِتَيْسٍ كاليَهودِ تُيُوسا
لو كنتُ أملِكُ أمرَهُم مِنْ غَيرَتِي   لَمْ أُبْقِ لِلمُستَخدَمِينَ ضُرُوسا

ويفسّر لماذا يريد صرفهم وعدم ابقاءِ أحدٍ من مستخدميهم بقوله : [1]

---

(1) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول ، 209.

(2) ينظر : الفقي ، محمد كامل ، الأدب في العصر المملوكي ، 136.

(3) البوصيري ، ديوانه ، 152.

(4) الْمَحَلَّة : مدينة مشهورة بالديار المصرية ، الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، 135/5 .

(5) البوصيري ، ديوانه ، 152.

يَرْعَـوْنَ أمْـوَالَ الرَّعِيَّـةِ بـالأذى   لـو يُحْلَبُـونَ لأشْـبَهُوا الجامُوسـا
اللَّـــهُ أرْسَـــلَهُم عَلَـــى أقْـــوَاتِهِم   سُوساً وقدْ أمِنُوا عليها السُّوسا

يسخر البوصيري من المستخدمين من أهل الذّمة ويشبههم بالسوس ، وهل يُعقل إئتمان السوس على أقوات الناس ؟!

ولم يكن البوصيري الشاعِر الوحيد الذي ضاق باستخدام أهل الذّمة ، فالعطار يهجـو المستخدمين ويسخر ممن استخدمهم بقوله : [2]

قـالوا : نـرى الأقبـاط قـد رُزقـوا   حظّــاً وأضــحوا كالــسلاطينِ
وغَلّلــوا الأمــوال قلــتُ لهــم   رزق الكــلاب علــى المجــانينِ

ويرسم الأعرج السَّعدي لوحة بيانيةً يبين فيها تقسيمات الأموال فــي مــصر ، وهــي برأيه كما يلي : [3]

وكيف يروم الرزق في مِصر عاقِلٌ   ومن دونـه الأتراك بالسيف والتّرس
وقـد جمعتـه القـبط مـن كـل وجهـةٍ   لأنفهـسم بـالرّبع والـثمن والخمـس
فللتـرك والـسلطان نـصف خراجهـا   وللقبطِ نصفٌ والخلائق في السُّدسِ

يشير الشاعِر إلى طمع الأقباط ، وإلى قلّة حظ الناس في أموال بلادهم وهــم الأحــق بها، لذلك يستغرب العيش في مِصر ويرى أن لا عاقل يروم الرزق فيها لأن حظّه في الرزق سيكون قليلاً .

ويرسم لنا البوصيري مشهداً يصور فيه الأطماع التي تدور حــول الــصراع الــديني حيث يقول : [4]

يَقُـولُ المُـسْلمُونَ : لَنـا حُقـوقُ   بهــا ولَــنَحْنُ أوْلَــى الآخِــذِينا
وَقَــالَ الْقِــبْطُ إنَّهــمُ بمِــصْرَ   الْمُلُـوكُ ومَـنْ سـوَاهُمْ غاصِـبُونا

---

(1) البوصيري ، **ديوانه** ، 152-153.
(2) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 207/1.
(3) نفسه ، 1/ 356.
(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 252.

وَحَلَّلَتِ الْيَهُودُ بِحِفْظِ سَبْتٍ لَهُمْ مَالَ الطَوَائِفِ أجْمَعِينا

ولم يسخر البوصيري من استخدام أهل الذّمة وأطماعهم في مِصر فحسب ، بل سَلط سخريته نحو معتقداتهم ومفاهيمهم ، كل ذلك في قصيدة سمّاها " المخرج والمردود على النّصارى واليهود " يقول في مطلعها : (1)

جاءَ المَسِيحُ مِنَ الإلهِ رَسُولا فأبَى أقَلُّ العالَمِينَ عُقُولا
قَوْمٌ رَأوْا بَشَرَاً كريماً فادَّعَوْا مِنْ جَهْلِهِمْ للَّهِ فيهِ حُلُولا

يفنّد الشاعِر هنا فكرة ألوهية سيدنا عيسى u ، واصفاً النصارى بالحمقى لتصديقهم هذا الإدعاء ، مُبدياً دهشته من هذه الفكرة ، مؤكداً عدم صِدقها بقوله : (2)

أسَمِعْتُمُ أنَّ الإلهَ لحَاجَةٍ يَتَنَاوَلُ المَشْرُوبَ وَالمَأكُولا
ويَنَامُ مِنْ تَعَبٍ وَيَدْعُو رَبَّهُ ويَرُومُ مِنْ حَرِّ الهَجِيرِ مَقِيلا

وينتقل الشاعِر من فكرة ألوهية عيسى إلى فكرة التثليث ، ساخراً من منطق النصارى، متسائلاً عن طبيعة هذا الإله المركب وماهيته (3) يقول : (4)

ضَلَّ النَّصارَى في المَسِيح وَأقسَمُوا لا يَهْتَدُونَ إلَى الرَّشَادِ سَبيلا
جَعَلُوا الثَّلاثةَ واحِداً وَلَو اهتَدَوا لَمْ يَجْعَلُوا العَدَدَ الكَثيرَ قليلا

ويقول في قصيدة أخرى : (5)

ليت شعري ذِكرُ الثلاثةِ وَالوا حِدِ نَقْصٌ في عَدِّكم أمْ نَماءُ
كيف وَحَّدْتُم إلهاً نَفَى التَّو حِيدَ عنه الآباءُ والأبناءُ
أإلهٌ مُرَكَّبٌ ما سَمِعْنَا بإلهٍ لذاتِهِ أجْزَاءُ

وينتقل الشاعِر للسخرية من اليهود بقوله : (6)

لا تُكَذِّبْ إنَّ اليَهُودَ وقد زا غُوا عن الحقِّ مَعْشَرٌ لُؤَماءُ

---

(1) نفسه ، 163.

(2) نفسه ، 166-167.

(3) ينظر : أمين ، فوزي محمد ، **المجتمع المصري في آدب العصر المملوكي الأول** ، 227.

(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 168.

(5) البوصيري ، **ديوانه** ، 26.

(6) نفسه ، 28.

ويأتي على ذكر عبادتهم العجل بقوله : [1]

قتَلــوا الأنبيــاءَ وَاتَّخَـذُوا العِجــ ـــلَ ألا إنهــم هــم الـــسُّفَهاءُ[2]

ويقول في موضع آخر : [3]

والعابـدُونَ العِجْـلَ قـد فُتِنُـوا بــه ودُّوا اتِّخــاذَ المُرْسَــلِينَ عُجُــولا

فهو يعرض لعبادتهم العجل ويسخر من سفه عقولهم التي سَوّغت لهم هذا الأمر.

ومن جوانب السخرية من النصارى واليهود سخرية الشاعر أحمد بن يوسف الطيبـــي منهم حين ألزموا بلبسِ العمائم الملونة ، حيث يقول : [4]

لا تعجبوا للنصارى واليهود معاً والـسامريين لمـا عمّمـوا الخِرقـا
كأنّمــا بــات بالأصــباع مُنــسهلا نسر السّماء فأضحى فوقهم درقا

---

(1) نفسه ، الصفحة نفسها .

(2) قال تعالى : " [illegible] " سورة النساء ، آية 153.

(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 169.

(4) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 343/1.

الدِّراسة الفنّية

أولاً : اللُّغة .

ثانياً : الأسلوب.

ثالثاً : الصّورة الشعرية .

رابعاً : الإيقاع .

أولاً : اللُّغة :

تُعَدّ اللّغة اللبنة الأساسية للأسلوب الأدبي [1] وتشكيلها أمــرٌ مهــم فــي بنــاء هــذا الأسلوب[2] لذا لا بُدّ للشاعِر أو الأديب من تخيّر ألفاظه وتجويد صــناعتها ، فــاللفظ جِــسمٌ ، روحه المعنى ، يقوى بقوّته ، ويضعف بضعفه ، فإذا سلم المعنى واختلَّ اللفظ كان ذلك نقــصاً للشعر ، كالجسم الذي تعتريه بعض العلل ، فأي اختلالٍ في اللفظ يــؤدي إلــى اخــتلالٍ فــي المعنى.[3]

واللّغة الشعرية مُلتصقة تماماً بطبيعة الشاعِر وروحه ، والعلاقات التي يُقيمهــا بــين مفردات اللغة تعكس صورة العلاقات في العالم الذي أوجده . [4]

ولذلك فقد مال شعراء السخرية إلى العامية في مواقفهم السَّاخرة لأن الموقف يقتــضي ذلك في بعض الأحيان ، ومن ذلك قول الوراق في شخصٍ أنشده شعراً فلم يعجبه فسخر منــه بقوله : [1]

أنـــــشَدَني شِـــــعْراً بـــــهِ	**ظَنَنْـــــتُ فَـــــاهُ مَبْعَـــــرا**
وَقَـــالَ لـــي كَيْـــفَ تَـــرَى	**قُلْـــتُ أرَى مِثْـــلَ الخَـــرى**

حيث يستخدم في نهاية البيت الثاني كلمة عامية قبيحة .

وقد ذكر ابن دانيال هذه الكلمة في سخريته من بخيلٍ حيث قال له : [2]

---

(1) ينظر : ابن رشيق ، **العمدة في صناعة الشعر ونقده** ، 200/1.

(2) ينظر : مندور ، محمد ، **الأدب وفنونه** ، 37.

(3) بنظر : ابن رشيق ، **العمدة في صناعة الشعر ونقده** ، 200/1.

(4) ينظر : أدونيس ، **زمن الشعر** ، 235.

تباخَلْتَ حتّى صِرْتَ أصفرَ مُنْتَناً   فكنـتَ جـديراً أنْ تُلَقّـبَ بـالخرا

وله أيضاً في تصوير نفسه وبيان قبح رائحة فمه إذا ما تحدّث مع صورته في المـــاء قوله : [3]

إذا مـا ابتـداني بالحـديثِ حَـسِبْتُهُ   تَـسَوَّكَ مـن فَـرطِ النّتّونـةِ بـالخرا

حيث يشبه رائحة فمه بهذه الرائحة الكريهة التي ذكرها في آخر بيته .

وبالعودة إلى الوراق نراه يسخر من الصَّبر وعواقبه مستخدماً ألفاظاً عامية بقوله :[4]

عَواقِبُ الـصَّبْرِ فِيمـا قـالَ أكثـرُهُمْ   مَحمودَةٌ قُلْتُ : أخشَى أنْ تُخرِّينـا

وقد نشدَ الشعراء في سخرياتهم الوضوح والانسجام ، بقدر ما تـــسعفهم بـــه ثقـــافتهم وموهبتهم ، فوصلنا منهم شعر جميل بسيط [5] ألفاظه بعيدة عن الحوشي والتعقيـــد ، ومعانيـــه واضحة سهلة الفهم والاستيعاب .

ومن ذلك قول الجزّار : [6]

كيـــف لا أشـــكُر الجـــزراة مـــا عِـــشْتُ حفاظـــاً وأرفـــضُ الآدابـــا
وبهـــا أضـــحت الكـــلاب تُرَجيني وبالـــشعر كُنـــت أرجـــو الكلابـــا

لغة الجزّار كما هو واضح من الأبيات السابقة سهلة تميل إلى العامة ، وهذا طبيعـــي يرجع إلى نشأته حيث إنه تربى بين طبقة العامة في الفسطاط لزمنه . [7]

---

(1) العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، 332.
(2) الصفدي ، المختار من شعر ابن دانيال ، 246.
(3) نفسه ، 175.
(4) الصفدي ، الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، 265/1.
(5) ينظر : محمد ، محمود سالم ، أدب الصنّاع وأرباب الحرف ، 362.
(6) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، 316/1.
(7) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، 296/1.

ونلحظ السهولة والوضوح كذلك عند ابن داينال الذي اتبع هذا الأسلوب ، حيث لا نجد في أشعاره ألفاظاً غريبة ، وكأنه حاول أن يجعلها قريبة قرباً شديداً إلى عامة أهـل القـاهرة لزمانه [1] ومن ذلك قوله في نعي إبليس : [2]

مـاتَ يـا قـومُ شـيخنا إبلـيسُ وَخَـلا منـهُ رَبعُـه المـأنوسُ
وَنَعـاني حَدسـي بـهِ إذْ تُـوُفّي وَلَعَمـري مماتُـهُ مَحـدوسُ

ولتوخي السُّهولة قام الشعراء بصياغة شعرهم السّاخر في مقطعات قـصيرة لطيفـة ، ليؤمنوا لها السيرورة و الانتشار ، وليسهل حفظها لتحقيق الأغراض التي قيلت من أجلها.[3]

حيث نلحظ في شعر السّخرية أن معظمه تقريباً جاء في مقطعات منفردة في بيتـين أو ثلاثة ، ولربما أرادوا أن يقولوا شيئاً فاكتفوا بهذا القدر لأن حاجتهم قد استنفذت خـلال هـذه الأبيات القليلة . [4]

---

(1) ينظر : ضيف ، شوقي ، **تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات** ، 382.

(2) حمادة ، إبراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 151.

(3) ينظر : الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء** ، 178.

(4) ينظر : عبد الهادي ، حسن ، **دراسة شعر شمس الدين النواجي** ، رسالة دكتوراه ، 260.

وهناك ظاهرة برزت لدى شعراء السُّخرية تكمن في استخدام ألفاظ الحرفة ومصطلحاتها وتسخيرها لخدمة أغراضهم السّاخرة فكل شعراء الحرف تقريباً أتوا على ذكر حرفهم ومن ذلك قول الجزّار : (1)

خَلِيٌّ فؤادي ولي فمُ وَسِخٌ   كأنّني في جزارتي كلبي

وقوله : (2)

أصبحتُ لحّاماً وفي البيت لا   أعرف ما رائحة اللحمِ

أما ابن دانيال فيذكر حرفته بقوله : (3)

يا سائلي عنْ حرفتي في الورى   وضيعتي فيهم وإفلاسي
ما حالُ مَنْ درهَم إنفاقه   يأخذهُ من أعُين النّاس

ويذكر الشعراء الحرف وألفاظها ساخرين منها مثل قولِ الشعراء في وصف الحمام ، وأذكر منهم ما قاله ابن الوردي في حمام وقيّمه : (4)

حمَّامُكُمْ قيّمُهُ شاطرُ   هربْتُ منهُ وأنا صارخُ
قدْ سلخَتْ جسمي أظافرُهُ   يا قومُ هذا الأسودُ السالخُ

وقد استخدم الشعراء بعض الألفاظ الأعجمية والمعربة والدخيلة "ووجود هذه الألفاظ أمر طبيعي ، لأنه لا بُدّ أن يتأثر المرء بألفاظ غريبة كهذه الألفاظ الشائعة في عصره والمستخدمة بين العوام " .

---

(1) ابن سعيد ، <u>المغرب في حلى المغرب</u> ، 316/1.

(2) نفسه ، 317/1.

(3) الصفدي ، <u>المختار من شعر ابن دانيال</u> ، 92.

(4) ابن الوردي ، <u>ديوانه</u> ، 205.

ومن الأمثلة على هذه الألفاظ في شعر السّخرية : الطيلسان والجُوخة والصِّرناج

ومن ذكره الطيلسان بمعنى الثوب ما قاله الجزار : [(1)]

ومن الزّمهريرُ إذا حَدَثَ الغيمُ ثيابي وطَيْلساني هَواءُ

وقوله : [(2)]

غَيْرُ خافٍ عَنْك الذي ناله الأسودُ بالأمْسِ من ندى السُّلطان
وتمشّيه بالعمامة والثوبِ ومنديل الكُمِّ والطيلسانِ

ومن ذكر الجوخة بمعنى ثوبٍ من الصوف قَول الوراق : [(3)]

هذا وجُوختي الزّرقاءُ تَحْسَبها من نَسْج داود في سَرْدٍ وإتْقانِ

ومن ذكر الصرناج بمعنى آلة موسيقية قول السراج المحار : [(4)]

شبّهت أنملها على صِرناجها وقبيح مبسمها الشنيع الأبخر
بخنافِسٍ قصدت كنيفاً واغتدت تَسْعَى إليه على خيار الشّنبر

أما الضرائر أو الضرورات الشعرية التي قد يلجأ لها الشاعِر لأنها تُعدّ من الممكنات التي أبيح له استخدامها دون غيره ، كصرفٍ لممنوعٍ من الصرف ، أو مدٍ لمقصور وقصرٍ لممدود وغيرها فنلمحه في شعر السخرية كذلك .

---

(1) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 309/1.

(2) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 327.

(3) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 145/1.

(4) العباسي ، إبراهيم ، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** ، 106/2.

ومن الأمثلة على ذلك قول ابن دانيال : [1]

إذا أرمَــداً وافــاهُ يَــشكو تألمــاً   منَ العين داوى العينَ كالضِّرس بالقلع

فهنا صرف كلمة " أرمد " وهي ممنوعة من الصرف .

ومن ذلك قول البوصيري : [2]

ومــا أخْـشَى عَلَـى أمْـوَالِ مِـصْرٍ   سِــوَى مِــنْ مَعْــشَرٍ يَتَأوَّلُونـــا

حيث صرف كلمة " مصر " وهي ممنوعة من الصرف .

ومنه قول ابن الوردي : [3]

لا تـــــــــصحبنَّ أعـــــــــوَرا   وإنْ تنـــــــــاهى زينُـــــــــهُ

فقد صرف كلمة " أعور " وهي ممنوعة من الصّرف .

ومن الضرائر التي وجدت في شعر السخريةَ كذلك قصر الممدود في مثل قــول ابــن دانيال: [4]

ونــــــابحٍ قـــــدِ افتَــــرى   تَــــــــشَبُّهاً بالــــــــشُّعرا

فهنا أتى بكلمة " شعرا " بدل شعراء .

وقوله كذلك : [5]

أوَ مــاذا الــشِّتا أتــاني وفــوقي   جُبّــةٌ قــد لَبِــسْتُها مــن جِلــدي

حيث قال " الشتا " بدلاً من الشتاء .

---

(1) الصفدي ، __المختار من شعر ابن دانيال__ ، 141.

(2) البوصيري ، __ديوانه__ ، 267.

(3) ابن الوردي ، __ديوانه__ ، 268.

(4) الصفدي ، __المختار من شعر ابن دانيال__ ، 141.

(5) نفسه ، 238.

وعلى سبيل ذلك أيضاً قول ابن الوردي : [1]

أحــلَّ الــضيوفَ علــى ســطحه وفــرَّجهم فـــي نجـــومِ الـــسما
وقطَّـــــعَ بـــالجوعِ أكبـــادَهم "وإنْ يـــستغيثوا يغـــاثوا بمـــا"

فجاء بكلمتي " السّما وبِمَا " والأصل السماء والماء .

ومنه قول الجزار : [2]

أعْمَــلُ فـــي اللحــم للعــشاءِ ولا أنـــالُ منـــه العــشا فمـــا ذنبـــي

فقد أتى بكلمة " العشا " بدل العشاء .

ومن الضرورات التي لجأ إليها الشعراء كذلك تخفيف همزة القطع ، في مثل قول ابن دقيق العيد : [3]

فـــإن تخـــالط مـــنهمُ مَعْـــشراً هَوَيـتَ فـي الـدّين علـى الـرّاسِ
يأكُـلُ بعـضهم لحـمَ بعـضٍ و لا يَحْـسِبُ فــي الغيبــة مــن بــاسِ

حيث خفف الهمزة في كلمتي " الراس والباس " وهما في الأصل الرأس والبأس.

---

(1) ابن الوردي ، **<u>ديوانه</u>** ، 284.

(2) ابن سعيد ، **<u>المغرب في حلى المغرب</u>** ، 316/1.

(3) الصفدي ، **<u>الوافي بالوفيات</u>** ، 204/4.

ثانياً : الأسلوبُ :

ليس الأسلوبُ إلا وسيلةً من وسائل نقل المعاني ، وجودته قد ترقى بالمعاني فتخرجها في كلّ شكلٍ يدعو إلى الإعجاب . [1]

والأسلوب ليس المعنى وحده ولا اللفظ وحده ، إنّما هو مركّب من عناصــر مُختلفــة يستمدّها الفنان من ذوقه [2] ومعنى هذا أنّ عناصر الأسلوب كُلٌّ لا يتجزأ ، ومن المعروف أنَّ هذا الأسلوب ، يصير صِفَة من صفات الإنسان الشخصيَّة . [3]

ولكلِّ شاعر أسلوبٌ في اختيار ألفاظه وتأليف الكلام والفكرة والصّورة [4] والــصّورة من أهم ما تنتهي إليه الأساليب الفنيّة خصوصاً عندما تكون مصحوبة بموسيقا اللفــظ وجمــال التَّعبير، وبالحركة التي تُعَدّ أهم العناصر التي يجب أن تتوافر في النّص الشعري ، ذلــك لأنَّ الشعر يصف الجمال وهو في حالة حركة ، أي يصف سحره وأثــره ، ولا يــصف الجمــال السَّاكن. [5]

ويمكن القول : إن الأسلوب ليس مجرد طريقة للكتابة ، فهو مرتبط عند كــلّ كاتــبٍ بالإلهام الخاص الذي يدعو إلى الكتابة فيصبح متّصِلاً بالتفكير والشعور [6] فالأديــب يختــار طريقة التعبير التي تتلاءم مع عواطفه ومشاعِره وأحاسيسه جميعاً [7] ومن هنا كان الأســلوب

(1) ينظر : أمين ، أحمد ، **النقد الأدبي** ، 74/1.
(2) ينظر : طبانة ، بدوي ، **البيان العربي** ، 287.
(3) ينظر :أمين ، أحمد ، **النقد الأدبي** ، 130/1.
(4) ينظر : طبانة ، بدوي ، **البيان العربي** ، 287.
(5) ينظر : السّمرة ، محمود ، **النقد الأدبي والإبداع في الشعر** ، 52.
(6) ينظر : اسماعيل ، عز الدين ، **الأدب وفنونه** ، 28.
(7) ينظر : عبد الرحمن ، منصور ، **اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري** ، 189.

نتيجة لعوامل خفيّة وبيّنة خلقت في الشعراء حالات ومشاعرِ دفعـتهم لاتبـاع طـرق معيّنـة للوصول إلى أغراضهم .

فسخرية الجزّار والوراق وابن دانيال وغيرهم من شعراء الطبقة الفقيرة كانت نتيجـةً لإحساسهم بالقهر والظلم ، فلم يتبعوا أسلوب القدامى من الوقوف على الأطـلال أو النـسيب وغيره بل لجأوا إلى المقطعات الشعرية ، يقول محمد زغلول سلام عن السراج الورّاق : " إن السّراج أكثر توفيقاً في مقطعاته الشعرية من القصائد ، لم يكن بالـشاعرِ المجيـد إذا قَـصَد ، وإنما مقطوعاته تجري لطيفة يسيرةً . [1]

وقد اتّسم الطّابع العام للشّعر المملوكي بالميل إلى الـسّهولة فألفـاظ الـشعراء سـهلة واضحة قريبة من الفهم والاستيعاب بعيدة عن التعقيد ، ويرى عبده قليقلـه أن الأسـباب وراء ذلك ناجمةٌ عن بعد العهد بين شعراء العصر المملوكي عن العصر الجاهلي ، وهـو عـصر غرابةِ اللغة وقوّتها وفصاحَتها ، ويرى أن هناك سبباً آخر هو ضعف الثقافـة اللغويـة لـدى شعراء المماليك [2] كما أن الشعراء كانوا يخاطبون في أشعارهم الطبقة العامَّة ، فالجزّار لـه أسلوب من أسهل الطرق التي يميلُ لها العامة ولا ينكرها الخاصة لقـرب مأخـذها وحُـسْنِ مَنزِعها . [3]

---

(1) **الأدب في العصر المملوكي** ، 157/2.

(2) ينظر : **النقد الأدبي في العصر المملوكي** ، 281.

(3) ينظر : ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 296/1.

والمقطوعات الشّعرية الساخرة للجزّار تَسْطَع بالبساطة والرّقة ، خصوصاً عند سخريته من زوجة أبيه ، يقول : [1]

تَزَوّجَ الشّيخُ أبي شَيْخةً	ليسَ لها عَقْلٌ ولا ذِهْنُ
لو برزت صورتها في الدّجى	ما جَسَرت تبصرها الجنُّ
كأنها في فرشها رمّةً	وشعرها من حولها قُطْنُ
وقائل قال : فما سِنّها	فقلتُ : ما في فمها سِنُّ

فهو يسخر من هذه المرأة بأسلوبٍ سهلٍ ليس فيه غرابة أو تعقيد .

أما البوصيري ، فقد اتّسم شعره السّاخِر أيضاً بالسّهولة التي تتجلّى في سهولة لفظه والسماحة في تراكيبه والقرب في معانيه التي تدلُّ على خفّة ظِلّه وحلاوة معشره [2] ومن ذلك ما نراه في قوله على لسانِ فتاةٍ راودها عن نفسها ، يقول : [3]

أهَوَىً والمَشِيبُ قدْ حالَ دونَهُ	والتَّصَابي بَعْدَ المَشِيبِ رُعُونهْ
أبَتْ النَّفْسُ أنْ تُطِيعَ وقالَتْ	إنَّ حُبِّي لا يَدْخُلُ القِنِّينَهْ
كَيفَ أعْصِي الهَوَى وطِينَةُ قلْبي	بالهَوَى قبْلَ آدَم مَعْجُونَهْ

" من الملاحظ على هذه الأبيات سهولة الأسلوب ، والميل إلى التراكيب الشّعبية ، وما يجري على ألسنة العامَّة من الأمثال والعبارات ، وهذه الملاحظة تنطبق على معظم شعره الذي جَنَح فيه إلى الدّعابة والسُّخرية ، شأنه في ذلك شأن رجال عصره " . [4]

---

(1) ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، 293/13. و اليونيني ، **ذيل مرآة الزمان** ، 64/4. و الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 292/4.

(2) ينظر : أبو علي ، نبيل خالد ، **البوصيري ، شاهدٌ على العصر المملوكي** ، 84.

(3) البوصيري ، **ديوانه** ، 267.

(4) أبو علي ، نبيل خالد ، **البوصيري ، شاهدٌ على العصر المملوكي** ، 79.

أما في النقد التهكّمي ، فإن البوصيري أكثر إجادةً فيما يتعلّق بسبك المعاني ، وتخيــر الألفاظ اللينة والتراكيب السَّهلة التي تتناسب مع أفهام عامة الشعب ، وتتجلّى براعته في ســتر مشاعِره الساخطة بغطاء رقيق من التندّر والسُّخرية ، نلمح ذلك في حديثه عن قومٍ حُكم عليهم بأن تحلق نصف لحية كلٍّ منهم [1] حيث يقول : [2]

ثُــمَّ قــالوا عَــنْ ذُقــون حُلِقــت	**قُلْــتُ لا بَـــدَّ لهـــا أن تُخْلَفـــا**
إنّ حَلْــقَ الــذّقْنِ خيــرٌ لِلفَتَـــى	**يــا بَنِــي الأَعْمَــامِ مِــنْ أنْ تُنتَفــا**
وَالّــذي حَلَــقَ أنــصافَ اللِّحَــى	**كــانَ فــي الأحكــامِ عَـدْلاً مُنْـصِفا**
حَلَــقَ النِّــصْفَ بــذَنْبٍ حاضِــرٍ	**وَعَفــا بالنــصفِ عَمَّـــا سَـــلَفا**

أما ابن دانيال ، فمن الطبيعي أن يكون أسلوبه في مقطعاته الشعرية الــساخرة ســـهلاً قريباً من العامة ، حيث أنه كان يصوّر في شعره الساخر الهزلـــي بعــض أحــداث عــصره المتصلة بحياة الناس إتصالاً مباشراً . [3]

ومن ذلك نظمه في حادثة تبطيل المفسدات وإراقة الخمور ، حيث يقول : [4]

لقد كـانَ حَدُّ السكر من قبل صَلْبه	**خفيـفَ الأذى إذا كـانَ فـي شَـرْعنا جلــدا**
فلمّا بَدا المصلوبُ قُلتُ لصاحبي	**ألا تُـبْ فـإنَّ الحدَّ قد جـاوز الحدّا**

---

(1) ينظر : أبو علي ، نبيل خالد ، **البوصيري ، شاهدٌ على العصر المملوكي** ، 85-86.

(2) البوصيري ، **ديوانه** ، 175.

(3) ينظر : سلام ، محمد زغلول ، **الأدب في العصر المملوكي** ، 168/2.

(4)الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 105.

ومع صفي الدّين الحلّي ، نجدُ نفوراً من اللفظ الغريب النّابي ، ونلاحـــظ دعــوةً إلـــى الأنيس المتحضر ، وهو في هجائه يتوخّى السّخرية والتطريف أكثرمن الهجاء والتشفي ، ففي هجائه لبخيل يصلُ الحلّي في سخريته إلى مرتبة رفيعة من التّصوير الخاطف [1] يقول : [2]

لا يَعـــــرِفُ الحَمّـــــامَ لَكِنَّــــــهُ ... فــي البَيــتِ يَحمــي المــاءَ فــي الـــــــــــــــــشَمسِ

إذا رَأى فــــي قـــــدرِهِ لَحمَـــــةً ... تَـــلا عَليهـــا آيَـــةَ الكُرســـــي

فهذه صورة فنّية متناهية الغرابة ، ولكنها في أصـــلها وطبيعتهـــا متناهيـــة البـــساطة والواقعية . [3]

أما عن الوسائل والأساليب التي استعان بها شعراء السخرية عامة فأهمّها :

1- أسلوب الأمر :

ويُقصد به طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، والاستعلاء هو أن ينظر الأمـــر على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه سواء أكان أعلى منزلة أم لا ، وأحياناً يخرج الأمـــر عـــن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى يُستَدل عليها من السياق ، ومن هذه المعاني الإهانة والتحقير[4] وفي شعر السخرية أراد الشعراء الهبوط بالمهجو وأذيته واستفادوا من أسلوب الأمر ، كقول

---

(1) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 190.

(2) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 518.

(3) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 190.

(4) ينظر : عتيق ، عبد العزيز ، **علم المعاني** ، 81-83.

ابن دانيال : [1]

قُــل لِقاضــي الفُــسوق والإدبــارِ　　　عَــضُدِ البُلْــهِ عُمْــدَةِ الفُجّــارِ
والــذي قــد غــدا سَــفينةَ جَهْــلٍ　　　ولَــهُ مِــن قُرونــهِ كالــصّواري

وفي قول البهاء زهير : [2]

أرحنــــــي مِنــــــكَ حَتّــــــى لا　　　أرى مَنظـــــــرَكَ الــــــوَعرا

وقول شمس الدين بن الصّائغ : [3]

تجنّــب كُــلَّ أقْطــع فهــو لِــصٌّ　　　يُريــدُ لــك الخيانَــةَ كُــلَّ ســاعَهْ

2- أسلوب النَّفي :

وفي هذا الأسلوب يتم نفي الصفات الحسنة عن المهجو وإثبات نقيضها كقــول البهــاء زهير في هجاء فرس والسّخرية منها : [4]

وَفَــــرَسٍ عَلــــى المَــــسا　　　وي كُلِّهــــا مُحتَوِيَــــه
ولَــــيسَ فيهــــا خَــــصلَةَ　　　واحِــــدَةٌ مُــــستَوِيَه

وقوله في هجاء رجلٍ أسود : [5]

وأسود ما فيـه من الخير خُصْلَةٌ　　　لــه زفــرةٌ مــن شَــرّه وشــواظُ

ومنه هجاء مجاهد بن سلميان الخيَّاط للجزّار بقوله : [6]

إنْ تــــاهَ جــــزّاركم علــــيكم　　　بفطنــــةٍ عِنــــده وكَــــيْس
فلــــيس يَرجــــوه غيــــر كَلْــــبٍ　　　ولــــيسَ يَخْــــشَاه غيــــر تَــــيْس

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 161.

(2) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 143.

(3) بردي ، ابن تغري ، **النجوم الزاهرة** ، 196/8.

(4) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 395.

(5) نفسه ، 191.

(6) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 101/1-102.

ومن أمثلته قول البوصيري في هجاء بعض الرعاع الذين عاثوا فساداً في زمـــانهم ، واصفاً سوء أخلاقهم نافياً عنهم لا صفات الخير فقــط ، بـــل العروبـــة والتّحـــضر أيـــضاً ، بقوله:[1]

عَصَتْ عليه أنـاسٌ لا خَلاقَ لَهُمْ — الـشُّؤْمُ شِـيمَتُهُمْ واللُّـؤْمُ والـدَّبَرُ
تَلَثَّمُـوا ثُـمَّ قـالوا إننـا عَـرَبٌ — فقلـتُ لا عَـرَبٌ أنـتمْ وَلا حَـضَرُ
ولا عُهُـودَ لكُـمْ تُرْعَـى ولا ذِمَـمٌ — ولا بُيُـوتُكُم شَـعْرٌ وَلا وَبَـرُ

(1) البوصيري ، **ديوانه** ، 138-139.

3- أسلوب الشَّرط :

وقد جاءَ الأسلوب موائماً للتّهكم والسّخرية ومنه قول الشاعرِ صفي الدين الحلـــي فـــي وصفِ سارقٍ بارع ، حيث يقول : [1]

لَـــو عايَنَـــت مُقلَتُـــهُ دُخنَـــةً لَاِســـتَرَقَ اللُـــبَّ مِـــنَ القِـــشرِ
وَلَـــو فَلاهــــا بَعـــدَهُ ناقِـــدٌ لَـــم يَـــرَ فيهـــا أَثَـــرَ الكَـــسرِ

وقول ابن دانيال ساخراً من نَفسه : [2]

أنـــا لـــو رُمـــتُ للعـــلاج طبيبـــاً مـــا تَعَـــدَّيتُ ســـكَّةَ البيطـــارِ

ومنه قول الجزار في وصف نفسه في الشتاء : [3]

لو تراني في الشمس والبرد قدْ أنحَل جسمي لَقُلْتَ إنّي هَبَاءُ

4- أسلوب الطّباق :

وهو الجمع بين الشيء وضده [4] أو الجمع بين المتـــضادين مـــع مراعـــاة التقابـــل ، ويقصد به عدم الإتيان بأسمٍ مع فعلٍ ولا بفعلٍ مع اسم . [5]

ومن الأمثلة عليه قول البوصيري : [6]

مِـنْ لُـؤْمِ أحْـسَابِهِمْ إنْ شـاتَمُوا رَبِحـــــــــــــوا وَمِنْ حَقَارَتِهِمْ إنْ قاتَلوا خَسِروا

---

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 645.
(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 164.
(3) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 309/1.
(4) ينظر : العسكري ، **الصناعتين** ، 316.
(5) ينظر : محمود ، شهاب الدين ، **حسن التوسل إلى صناعة الترسل** ، 200.
(6) البوصيري ، **ديوانه** ، 117.

فالطباق بين كلمتي " ربحوا وخَسِروا " وهو طباق إيجاب ويقصد به الجمع بين لفظتين تضادَ معناهُمَا وكلاهُما مثتب . [1]

ومن الأمثلة عليه أيضاً قول البهاء زهير في السّخرية ممن يدعون الزّهد بقوله : [2]

كَـم أنـــاسٍ أظهَــروا الزُهــدَ لَنــا   فتَجـــافوا عَـــن حَـــلالٍ وَحَـــرامِ

فالطباق بين كلمتي " حلال وحرام " .

ومنه قول ابن الوردي في السخرية من مغنية قبيحة الشكل ولكن صوتها جميل ، حيث يقول : [3]

غنيـــتِ ســـافرةً لهـــمْ فقلـــوبُهُمْ   فـــي جنَّـــةٍ وعيـــونُهمْ فـــي نـــارِ

فقد طابق الشاعر بين كلمتي " جنة ونار " .

وقوله أيضاً في السخرية من أعورين : [4]

أعـــورُ بـــاليمنى إلـــى جنبـــهِ   أعـــورُ باليـــسرى قـــدِ انـــضما

فالطباق بين كلمتي " باليمنى وباليُسرى " .

---

(1) ينظر : العاكوب ، عيسى ، وآخر ، **الكافي في علوم البلاغة العربية** ، 568/2.

(2) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 238.

(3) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 391.

(4) نفسه ، 239.

5- أسلوب المراجعة أو الحوار :

وهو الإتيان بحوار يقول فيه أحدٌ شيئاً ويقول الآخر شيئاً يَردُّ عليه [(1)] ويقول ابن أبي الإصبع : " يُفَضّل أن يكون بأوجز عبارة وأرشق سبك وأسهل ألفاظ ، إمّا في بيتٍ واحدٍ أو في أبيات أو في جملةٍ واحدة " [(2)] وشيوع الحوار يجعل من الشعر قصّة يمكن تخيّلها ويساعد على إبراز المعنى الساخر الذي يُريده الشاعرِ ، ومنه قول الوراق : [(3)]

قالتْ : جَمعْتَ لِفاقةٍ كَسَلا	**فَانْهضْ وَقُمْ وادْأبْ لِهَمِّ العَائِلَه**
فَأجبْتُ هَلْ تَدْرين لي سَبباً فقا	**لَتْ لا ولا وَتَداً وَهذِى الفاصِلَه**

ومنه أيضاً قول البوصيري : [(4)]

وَيَوْمَ زارت أمُّهم أختَها	**والأُخْتُ في الغَيْرَةِ كالضَّرَّهْ**
وَأقبَلَتْ تَشْكُو لها حالَها	**وَصَبْرَها مِني على العِشْرَهْ**
قالتْ لها كيفَ تكونُ النِّسا	**كذا مَعَ الأزواج يا غِرَّهْ**
قُومِي اطْلبي حَقَّكِ منه بلا	**تَخَلّفٍ منكِ ولا فَتْرَهْ**
قالت لها : ما عادَتي هكذا	**فإنَّ زَوْجي عنده ضَجْرَهْ**
أخافُ إنْ كَلَّمْتُهُ كِلمَةً	**طلَّقَنِي قالتْ لها بَعْرَهْ**

ونراه أيضاً قد بنى حواراً طريفاً بينه وبين بغلةٍ فسخر على لسانها من صاحبها بقوله: [(5)]

قالتِ البَغْلَةُ التي أوْقعَتْهُ	**أنا ما لي على الغُبونِ مَرارَهْ**
قلتُ ما تَكْرَهِينَ فيه؟ فقالت :	**أيُّ بُخْلٍ فيه وأيّ قَتَارَهْ**

6- أسلوب السَّرد القصصي :

---

(1) ينظر : الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 99.

(2) **تحرير التحبير** ، 590.

(3) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 265/1.

(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 119.

(5) نفسه ، 99.

" وفيه يكون الشاعرِ هو الرّاوي ، حيث ينقل بمفرده ما يجري ولا يخرج لغة الخطابِ من زمامه ، وفيه يصوّر الأحداث ويسجّلها " [1] وخير مثالٍ على ذلك قول البوصيري في وصف حال عائلته : [2]

يا أيّها المَولَى الوزيرُ الّذي	**أيَّامُهُ طائِعَةٌ أمْرَهْ**
ومَنْ لَهُ مَنْزِلَةٌ في العُلا	**تَكِلُّ عَنْ أوْصَافِهَا الفِكْرَهْ**
إليكَ نَشْكُو حالَنا إنّنا	**عائلةٌ في غايَةِ الكَثْرَهْ**
صَاموا مَعَ النَّاسِ ولكنَّهمْ	**كانوا لِمَنْ يُبصِرُهم عِبْرَهْ**
إن شَرِبُوا فالبِئْرُ زِيرٌ لهُمْ	**ما بَرِحَتْ والشَّرْبَةَ الجَرَّهْ**
لهُمْ مِنَ الخُبَّيْزِ مَسْلوقةٌ	**في كلِّ يَومٍ تُشْبِهُ النَّشْرَهْ**
أقولُ : مَهما اجتمعوا حَوْلَها	**تَنَزَّهُوا في الماءِ والخُضْرَهْ**
وأقبلَ العيدُ وما عندهم	**قمْحٌ وَلا خُبْزٌ ولا فطْرَهْ**

ونجد هذا الأسلوب في وصف بعض الشعراء لمساكنهم التي تدلّ على فقرهم وضيق حالهم ، ومنهم ابن دانيال الذي رَسمَ لبيته صورة ساخرة مضحكة ، بقوله : [3]

أصبّحتُ أفقرَ مَن يَروحُ وَيغتدي	**ما في يَدي من فاقتي إلاّ يَدي**
في مَنزِلٍ لم يحَوِ غيريَ قاعداً	**فمتى رَقَدتُ رَقدتُ غيرَ مُمَدَّد**
لَمْ يبقَ فيهِ سِوى رسومِ حَصيرةٍ	**ومخدَّةٍ كانَتْ لأُمِّ المهتَدي**
تُلقى على طُرَّاحةٍ في حَشْوها	**قملٌ شبيهُ السمسمِ المُتَبَدِّدِ**

---

(1) عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، الجامعة الأردنية ، 241.

(2) البوصيري ، **ديوانه** ، 110-111.

(3) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 154.

ويقول في القصيدة نفسها : [1]

والفـارُ يَـرْكضُ كـالخيولِ تَـسابُقاَ	مـن كُـلِّ جَـرداءِ الأديـمِ وأجـرَدِ
يـأكُلنَ أخشابَ السّقوفِ كمثلِ فا	راتِ النِّجــارةِ إذّ تُحَــكُّ بمِبْــرَدِ
وَتَرى الخنافِس كالزنوجِ تصفّقتْ	مـنْ كُـلِّ سـوداءِ الأديـمِ وأسـودِ

7- أسلوب النّداء :

سَخَّر بعض الشعراء أسلوب النداء لخدمة سخريتهم ، إذ جعلوا من المنـادى عُرضـه لهذه السخرية ومجالاً للتهكم .

ومنه قول مجاهد الخياط في الجزار : [2]

أبــا الحــسين تــأدَّب	مــا الفخــر بالــشّعر فَخْــرُ
ومــا تبللــت منــه	بقطــرةٍ وهــو بَحْــرُ

وقول ابن الوردي في مخاطبة سُكان مصر : [3]

سـاكني مـصرَ أيـنَ ذاكَ التـأنّي	والتـأبِّي ومـالكمْ عنـهُ عـذرُ
يخـسرُ الـشخصُ مالَـهُ ويقاسـي	تعـبَ الـدهر والولايـةُ شـهرُ

ومن الأساليب الأخرى كذلك استخدام " كم الخبرية " خصوصاً التكثيرية ، ومن ذلـك قول الخياط الدمشقي : [4]

كم تُظْهر الحُسن البديع وَتدّعي	وبياض وجهك في النّواظِر مُظْلِمُ

فهو أراد التكثير والمبالغة في السخرية من خلال التكثير والمبالغة فـي ادعـاء هـذا المهجو الحسن والتقوى باستخدامه كم الخبرية التكثيرية .

ومنها قول البوصيري : [1]

---

(1) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 155.
(2) الصفدي ، **نصرة الصائر على المثل السائر** ، 331.
(3) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 491.
(4) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 302/4.

وَكَـمْ جَعَـلَ الْفَقِيـهُ الْعَـدْلَ ظُلْمـاً   وَصَــيَّرَ بَــاطِلاً حَقَّــاً مُبينــا

وكأن حالات جعل الفقيه للعدل ظلماً وتصيره الباطل حقاً مبيناً كثيرة جداً بحيث لا تعد ولا تحصى .

فنون بديعية أخرى :

أ) التَّورية :

" وهي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان ، أو حقيقة ومجاز ، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفيّة ، فيريد المتكلم المعنى البعيد ، ويوري عنه بالمعنى القريب ، فيتوهم السَّامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك"[2].

وقد كانت التورية من المُحسنات البديعية التي أولع بها الشعراء ، فتهافتوا عليها ، وتباروا فيها ، حتى اعتبروا الإحسان فيها مقياس نبوغٍ وعبقرية .[3]

(1)البوصيري ، **ديوانه** ، 252.

(2) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 184/3.

(3) ينظر : الفقي ، محمد كامل ، **الأدب العربي في العصر المملوكي** ، 141.

وقد تطورت التورية حتى أصبحت مذهباً شعرياً يجب أن يتحلّى به كل شاعر ونـــاثر وإلا عُدّ مقصراً ، مما دفع الشعراء إلى الإكثار منها ، حتى أصبحت غرضاً بحدّ ذاتها ، يُعمل الشاعر من أجلها شعوره وفكره . (1)

وقد أولع شعراء السّخرية بالتورية و وظّفوها لخدمة أغراضهم ، فالتورية من أقــرب أنواع المحسنات البديعة والزخارف اللفظية لمادة الفكاهة ، لما تتضمنه من عنــصر المفاجــأة والاستضراب وتداخل المعاني وفي أكثر الأحيان بشكل ساخر" (2) ، ومن ذلك قول الــوراق في بخيلٍ أضافهم ، فسخر منه ومن بخله بقوله : (3)

وأحْمَـــقٍ أضـــافنا بِبَقْلَـــه لنـــسبةٍ بينهمـــا و وَصْـــلَه
فمـــن أقـــلّ أدبـــاً مـــن سُـــفْلِه قد مَدَّ في وَجْه الضيوفِ رِجْلَه

التورية في كلمة " رجله " إذ ذكر المعنى القريب " القدم " وأراد المعنى البعيد " نــوع من النبات يُسمى البقلة " .

ويتلاعب الشاعر نفسه بلقبه قاصِداً إلى الإضحاك بقوله : (4)

شعريتي مُذ رمدت قد حَبَست طرفي عنكم فصِرتُ محبوسا
الحمـــدُ لِلّـــه زادنـــي شَـــرَفاَ كنت سِراجاً فَصِرْت فانوسا

التورية في كلمة " سراج " حيث ذكر المعنى القريب " ما يُسْتَضاء به " وأراد المعنـــى البعيد " لقبه " .

---

(1) ينظر : باشا ، عمر موسى ، **أدب الدول المتتابعة** ، 452.

(2) القشطيني ، خالد ، **سجل الفكاهة العربية** ، 114.

(3) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 246.

(4) نفسه ، 244

ومن هذا القبيل ما قاله مجاهد الخياط في الجزّار : [(1)]

إنْ تـــــاهَ جــــزّاركم علــــيكم بفطنـــــــةٍ عِنــــــده وكَـــــيْس
فلـــيس يَرجـــوه غيـــر كَلْـــبٍ ولــــيسَ يَخْـــشَاه غيـــر تَـــيْس

التورية في كلمة " جزار " إذ ذكر المعنى القريب وهو " اللّحام " وأراد " لقب الهجو".

ويواري ناصر الدين بن النقيب بقوله : [(2)]

مَنَـــع الظّـــاهِر الحـــشيش مــــع الخمـــر فَـــوَلّى إبلــــيسُ مــــن مــــصر يـــسعى
قـــال : مـــالي وللمقـــامَ بـــأرضِ لـــم أُمتّـــع فيهـــا بمـــاءٍ ومَرعـــى

فالتورية في " ماء ومرعى " حيث جاء بمعناهما القريب المعـــروف ، وأراد الخمـــر والحشيش .

ب) التّوجيه :

وهو كالتورية ، حيث يحتمل الكلام وجهين من المعنى ، ولكنه يكـــون فـــي الأعـــلام والسور القرآنية وقواعد العلوم والمصطلحات ، وقواعد الفقه ، والحديث والعـــروض وعلـــم النجوم والهندسة وغيرها . [(3)]

ومن ذلك قول الجزّار : [(4)]

إذا مـــــا قــــرَأتُ إذا زُلزلَــــت خــــشيتُ بـــأن تقـــرأ الواقِعَـــهْ

حيث يتحدث في هذا البيت عن بيته المتهاوي ويوظّف أسماء السور القرآنيـــة لبيـــان مدى سوء حاله ، فيوجه بأسماء سورتين هما " الزلزلة " و " الواقعة " ، " وهذه الأســـماء لهـــا معنى قريب ، ومعنى بعيد ، والتوجيه بطبيعة الحال يُقصد به البعيد " .

---

(1) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 102/1.
(2) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 115/1-116.
(3) ينظر : سراحنة ، سارة ، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً** ، رسالة ماجستير ، 15.
(4) الحموي ، ابن حجّة ، **خزانة الأدب** ، 251.

ونرى التوجيه بأسماء السور في قول الجزار في سخريته مــن رجــلٍ أســود تــزَيّن بملابس مُزخرفة حيث يقول فيه : [(1)]

غَيْرُ خافٍ عَنْك الذي نالـه الأسودُ بــالأمْسِ مــن نــدى الــسُّلطان
وتمــشّيه بالعمامــة والثــوبِ ومنــديل الكُــمِّ والطيلــسانِ
قُلْــتَ : إذا فُــصِّلت عليــه أرى الزّخرف يُتلَى بالنَّص فوق الدَّخانِ

فقد وجه بأسماء السور الآتيه : " فُصّلت ، والزّخرف ، والدخان " آتياً بمعناها القريب مع أنه يريد معناها البعيد للزيادة من سخريته من مهجوّه .

ومن التوجيه بقواعد العلوم والنحو و العروض ، ما قاله ابن الوردي : [(2)]

عزلــوكَ لمَّــا قلــتَ مــا أعطــي وولّــوا مَــنْ بَــذَلْ
أوَ مــا علمــتَ بــأنَّ "مــا" حــرفٌ يكــفُّ عــن العمــلْ

حيث وجّه بالحرف " ما " الكاف عن العمل وهو المعنى القريب ، وأراد المعنى البعيد وهو الامتناع عن الإعطاء .

ومن ذلك ما قاله الخياط في السخرية من شعر الجزار ، بقوله : [(3)]

أبــا الحــسين تــأدَّب مــا الفخــر بالــشّعر فخْــرُ
ومــا تبللــت منــه بقطــرةٍ وهــو بَحْــرُ

والتوجيه في كلمة " بحر " .

ومنها قول الوراق : [(4)]

قالــتْ : جَمعْــتَ لِفاقــةٍ كَــسَلا فـانْهضْ وَقُـمْ وادْأبْ لِهَـمِّ العَائِلَـه
فَأجبْتُ هَلْ تَـدْرين لـي سَبباً فقـا لَـتْ لا ولا وَتَـداً وَهـذِى الفاصِلَـه

فالسّبب والوتد والفاصلة من مصطلحات علم العروض .

---

(1) الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 327.

(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 149.

(3)الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 331.

(4) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 145/1.

وقَد وجَّه الشعراء بأسماء الأعلام ، ومنهم علماء اللغة والعروض ومن ذلك قول الجزّار : [1]

إنَّ فصْلَ الشّتاء مُنْذُ نحا جسمي   أبْدَت بيانَه الأعضاءُ
فيه عظمي المبرَّدُ إذ عَنّ الكسائيُّ   واحتمى الفرّاءُ

فقد وجه بأسماء علماء هم " المبّرد والكسائي والفرّاء " وأراد من هذه الأسماء معناها البعيد .

ومن التوجيه بأسماء الأنهار ما قالَه ابن الوردي في هجاء مدينة شيزر بسوريا حيث قال : [2]

قيلَ لي : شيزرُ نارٌ   وبها العاصي مخلَّدْ
قلتُ :لا أمكثُ فيها   أنا مِنْ حزبِ محمدْ

حيث وجّه بكلمة " العاصي " فأتى بمعناها القريب وهو اسم نهر يمر من سوريا ، وأراد المعنى البعيد وهو العاصي لأوامر الله سبحانه وتعالى .

ج) الاقتباس :

الاقتباس مظهر من مظاهر التأثُّر بالتراث الأدبي [3] " سواء أكان الاقتباس من القرآن الكريم أم الأحاديث الشريفة أم كلام العرب ، وقد برز الاقتباس من القرآن في الإشارة إلى معنى آية قرآنية ، أو إلى قصةٍ من قصص القرآن ، أو باستخدام ألفاظه " .

ومن التأثر بالقرآن الكريم واقتباس آية من آياته ما قاله الشاعرِ ابن الوردي : [4]

---

(1)الصفدي ، **نصرة الثائر على المثل السائر** ، 329.
(2) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 335.
(3) ينظر : الصايغ ، هنرييت ، **اتجاهات الشعر العربي** ، رسالة دكتوراة ، 419.
(4) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 284.

أحــلَّ الــضيوفَ علــى ســطحه　　　وفــرَّجهم فـــي نجـــومِ الـــسما
وقطَّـــــعَ بـــــالجوع أكبـــادَهم　　　"وإنْ يـــستغيثوا يغـــاثوا بمـــا"

فهو يقتبس من قوله تعالى : " bÎ)r „ ó‹ÉGèq(ãóå$‹q) ÎJ$ ã‹$Ÿ6ø$ ëgô@ " [1].

ومن ذلك قول ابن الأعمى في السخرية من حمامٍ حارٍ و وصفه بنار جهنم بقوله : [2]

قُلـــــتُ لمّـــا رأيتـــه يتلظّـــى　　　ربنـــا اصـــرف عَنّـــا عـــذابَ جَهـنّم

حيث يقتبس من قوله تعالى : " $oY/u‘ ô$Î£À$# $¨Z‹ã tU#x‹tã zO¨Yygy_ " [3]

وكذلك وصف الحلي لحمام حيث يقول : [4]

إنَّ حَمّامَـــــكَ قـــــد ضَـــــــ　　　ــــــمَت حَميمـــــاً وَحِمامـــــا
فهـــيَ مِثـــلُ النـــارِ ســـاءَت　　　مُـــــــــستَقَرّاً وَمَقامـــــــــا

---

(1) سورة الكهف ، آية 29.

(2) الحنبلي ، ابن عماد ، **شذرات الذهب** ، 736/7.

(3) سورة الفرقان ، آية 65.

(4) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 527.

حيث يقتبس من قوله تعالى : " $gR)̂ $™ä Nô ã B ó G(v# rã B($ B$ " [1] .

وقد يكون الاقتباس بالإشارة إلى معجزات الرّسل ، كما فعل صفي الدين الحلي الذي أشار إلى معجزة سيدنا عيسى u المتمثلة بإحياءِ الموتى ، ليجعلها الضدّ في مهجوّه ، حيث يقول : [2]

أرى فيكَ يا عيسى الطَبيبُ فَضيلَةً	**هِـيَ الـضِدُ مِـن أفعـالِ عيـسى بـنِ مَـــــــــــــــريَمِ**
تُميـتُ لَنـا الأَحيـاءَ مِـن غَيـرِ عِلَّـةٍ	**وَتُــضني وَتُغنــي باليَــدَينِ وَبــالفَمِ**

أو حتى الإشارة إلى ذكر معجزته u وهي ولادته من أمٍ بغير أبٍ ، ويُوظفها للسخرية من مهجوّه اللقيط ، حيث يقول : [3]

سُمّيتَ عيسى وَلَم تَظفَر بِمُعجِزَةٍ	**وَلَـم تُـشابِههُ فـي عِلـمٍ وَلا حَـسَبِ**
وَلا أَتَيــتَ بــشَيءٍ مِــن فَــضائِلِهِ	**إِلّــا بِأَنَّــكَ مِــن أُمٍّ بِغَيــرِ أَبِ**

---

(1) سورة الفرقان ، آية 66.

(2) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 531.

(3) نفسه ، 530.

د) التّضمين :

وهو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم والإتيان به في آخر الشعر أو أوسطه [(1)] أو إيداع الشاعِر في شعره بعض ما يستملحه من شعر غيره ، سواء كان ذلك في بيتٍ كاملٍ أو نصفه ، أو ربعه ، بعد التمهيد له بروابط متلائمة تجعله مُنسجماً مع ما قبله وما بعده .[(2)]

وقد أكثر الشعراء في العصر المملوكي من التّضمين في أشعارهم ومن ذلك في شعر السخرية ما نراه عند صفي الدين الحلي الذي يسخر من طبيب بقوله : [(3)]

فما أنتَ إلّا خَبطُ عَشواءَ مَن تُصِب　　　تُمِتـهُ وَمَـن تُخطِـىء يُعَمَّـر فَيُهـرَمِ

حيث ضَمّن من بيت زهير بن أبي سلمى في قوله : [(4)]

رَأيـتُ المَنـايـا خَـبطَ عَـشواءَ مَـن تُـصِب　　　تُمِتـهُ وَمَـن تُخطِـئ يُعَمَّـر فَيَهـرَمِ

ومن ذلك ما قاله ابن نباتة في الحديث عن الشذوذ حيث يقول : [(5)]

أقــولُ لمعــشرٍ جَلَــدوا وَلاطُــوا　　　وبــاتُوا عــاكفينَ علــى المــلاحِ
لأنــتم خيــرَ مــن ركِــبَ المَطايَــا　　　وأنــدىَ العَــالَمينَ بُطــونَ راحِ

حيث ضمن بيت جرير الذي قاله في المدح وهو : [(6)]

ألَـستُم خَيـرَ مَـن رَكِـبَ المَطايـا　　　وَأنــدى العــالَمينَ بُطــونَ راحِ

---

(1) ينظر : ابن رشيق ، **العمدة في صناعة الشعر ونقده** ، 720/2 و ينظر : ابن منقذ ، أسامة ، **البديع في نقد الشعر** ، 249.

(2) ينظر : الغباري ، عوض ، **دراسات في أدب مصر الإسلامية** ، 177.

(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 531.

(4) زهير بن ابي سلمى ، **ديوانه** ، 70.

(5) ابن نباتة ، **ديوانه** ، 20.

(6) جرير ، **ديوانه** ، 10.

ولكنه في تضمينه يصرف البيت عن معناه الأصلي وهو المدح ، ليلائم معناه الجديد أو غرضه الجديد وهو السُخرية ، وصرف البيت عن معناه الأصلي إلى معنًى جديد و وضعه في غرضٍ جديد غير الذي وضع من أجله هو أحسن التّضمين برأي ابن حجة الحموي . [(1)]

ثالثاً : الصّورة الشّعرية :

تُعَدّ الصورة الشعرية جوهر فن الشعر عامة ، إذ لا بُدّ لأي عملٍ أدبي من صورٍ فنية تشعُ فيه الحيوية . [(2)]

والأديب الموفق هو الذي يعرض علينا الصّور الأدبية وكأنّها حقيقة ملموسة ، وهو حين يعرضها لا يعرضها صامتة بل مفسّرة مُجَسَّمة على أن ندرك أسرارها فيشملنا الإعجاب بها . [(3)]

ولا شكَّ أن الصورة تبرز المعنى وتقرّبه إلى الأذهان ، لذلك لا بُدّ أن تكون قريبة من الأذهان أيضاً . [(4)]

ولكي تكون الصور الشعرية واضحة جميلة ، لا بد لها أن تكون صوراً ذات علاقة ليس ببعضها فقط ، وإنّما بسائر مكونات القصيدة . [(5)]

---

(1) خزانة الأدب ، 4/19-21.

(2) ينظر : ضيف ، شوقي ، **في النقد الأدبي** ، 162.

(3) ينظر : الشايب ، أحمد ، **أصول النقد الأدبي** ، 218.

(4) نظر : ضيف ، شوقي ، **في النقد الأدبي** ، 162.

(5) ينظر : عبد الله ، محمد حسن ، **الصورة والبناء الشعري** ، 19.

ومن الجدير ذكره أن باستطاعة الشاعر محاكاة الواقع الذي يعيشه بالألفاظ ، مثله مثل الفنان الذي يصوّر واقعه من خلال قدرته على الرّسم ، فكلاهما يُحاكي الواقع ، ولكن كلٌّ يعتمد على قدرته ومقدار الأحاسيس والمشاعِر الكامنة في عالمه الداخلي [1] وهذا ما يراه السعيد الورقي أيضاً حيث يقول : إن الصورة تعبير عن الحالة النفسية التي يُعانيها الشاعر تجاه موقف معين من مواقفه مع الحياة [2] وقد جاءت الصور الشعرية الساخرة على نوعين ، مرتبطين بانفعالات الشاعِر وحالاته النفسية ، وهذان النوعان هما :

الصور المفردة والجزئية :

ومن الوسائل البنائية للصور المفردة تبادل المدركات ، وفيها يكون اعتماد الشاعر على أساليب التصوير المألوفة ، حيث يعتمد على تجسيم الصفات المحسوسة . [3]

ومن الأمثلة على ذلك قول الجزّار : [4]

لبستُ بيتي وقد زرت أبوابي عليَّ حتى غسلتُ اليوم أثوابي

فالتجسيم في قوله " لبست بيتي وزررت أبوابي " .

ومن أساليب هذا التصوير أيضاً التّشخيص ، ومثاله في قول الوراق : [5]

هذا وجُوختي الزّرقاءُ تَحْسَبها من نَسْجِ داود في سَرْدٍ وإتْقانِ
قلَبْتُها فغَدت إذ ذاك قائلةً : سبحانَ ربّي بَلَا قلبي وأبلاني
إنّ النّفاقَ لشيءٌ لَسْتُ أعْرفه ، فكَيفَ يُطْلَبُ مني اليومَ وجهانِ

---

(1) ينظر : أبو شريفة ، عبد القادر ، **مدخل إلى تحليل النص الأدبي** ، 59.

(2) ينظر : **لغة الشعر العربي الحديث** ، 82.

(3) ينظر : عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، 254.

(4) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 292/4.

(5) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 145/1.

فالشاعر جعل الحياة تدبُّ في جوخته ، وأجرى معها حواراً لطيفاً أنطقها مــن خلالــه بالحكمة ليصل إلى أنها بالية [1].

الصّور المركّبة :

وهي عبارة عن صور جزئية متآلفة تتداخل في نسيج متكامــل يقــوم علـــى البنـــاء الدرامي، متمثلاً في الحوار بنوعيه الداخلي والخارجي وكذلك في الأسلوب القصصي ، ومـــن خلاله يقدم الشاعِر عواطفه وأفكاره التي تعذّر تقديمها عبر صورٍ جزئية . [2]

ومن الأمثلة على ذلك قول الجزّار : [3]

قالُوا وقد ضَاعَتْ جَميعُ مَصَالحي ... لِهمُــومِ نَفْــسٍ ليــتَ لا حُمِّلتُهــا

قدْ كـانَ عِنْدَكَ يَـا فُـلانُ صَـريمةٌ ... فَــأَجَبْتُهُمْ بعْــتُ الحِمــارَ وَبعْتُهــا

أما بالنسبة لأنماط الصورة الشعرية فإنّها لا تنحصر في النمط البصري ، بـــل هنـــاك أنماط حسّية متعددة يمكن أن تتشكل من خلالها الصورة الشعرية ، فهنـــاك الـــنمط البـــصري والـــــسمعي ، والـــــذوقي ، والـــــشّمي ، واللمـــــسي ، والعـــــضوي ، والحركـــــي " .

(1) ينظر : محمد ، محمود سالم ، **أدب الصنّاع وأرباب الحرف** ، 250.

(2) ينظر : عيسى ، عبد الخالق ، **السخرية في الشعر في العصر العباسي** ، رسالة دكتوراة ، 254-255.

(3) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 264/1.

وفيما يلي بيان للصور الحسّية :

1- الصورة البصرية :

ترتد هذه الصورة إلى حاسة البصر ، وتُعَدُّ انعكاساً لمـا رأى الـشاعرِ أو شـاهد [1]

ومثالها قول ابن دانيال : [2]

وَلَكَمْ قد رأيتُ في الماءِ شيخاً وهو جاثٍ في الجبِّ كالعيار
شيخُ سوءٍ كالثلج ذقناً ولكن وَجهُهُ في سوادِهِ كالقار

حيث يعكس الشاعر من خلال هذه الأبيات صورته ومنظره الذي تراءى له في البئر، واصفاً شكله حيث وجهه أسود وذقنه بيضاء.

ومثال على الصورة البصرية أيضاً قول الجزار : [3]

تَزَوّجَ الشّيخُ أبي شَيْخةً ليسَ لها عَقْلٌ ولا ذِهْنُ
لو برزت صورتها في الدّجى ما جَسَرت تبصرها الجِنُّ
كأنها في فرشها رمّة وشعرها من حولها قُطْنُ

نرى من خلال الأبيات السَّابقة كيف فصل الشاعر صورة زوجة أبيه ، ناسجاً من مظهرها خيوط مشهد مسرحي ساخر [4] وقد استعان بألفاظٍ ساخرة لبيان مدى قبحها مثل رِمّه، وشعرها قطن .

ومن الصور التي تتعلق بالصورة البصرية نجد الصورة اللونية التي ترتدُّ إلى حاسة البصر .

---

(1) ينظر ، الشناوي ، علي الغريب ، **الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي** ، 134.

(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 180.

(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 292/4.

(4) ينظر : الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي** ، 185.

ومن خلال دراستي لشعر السُّخرية وجدت أن للون الأصفر نصيبٌ فيه ، حيث قام الشعراء بتصوير ألوان بعض الأشياء التي كانت محطَّ سخريتهم بهذا اللون ، ومن هذا قول الجزّار في خلعته التي يسخر منها : [(1)]

لي من الشّمس خِلْعَةٌ صفراءُ   لا أُبالي إذا أتاني الشّتاءُ

وقد جعل ابن دانيال لون مهجوه أصفر بقوله : [(2)]

ألا بَلِّغ المُصْفَرَّ عَنِّي وإنْ يَكُنْ   أخَسَّ الورى قدْراً لَدَيَّ وأحقرا

وينفي ابن دانيال عن محبوبه هذا الاصفرار بقوله : [(3)]

حبّيَ ما عابَهُ أصفرارُ   كلاَّ ولا شانَهُ انسطال

وربما كان دافع ما دفع الشُّعراء لرسم هذا اللون في صورهم السَّاخرة هو ما يحمله من دلالات سلبية مثل المرض والخبث في بعض الأحيان ، فالشعراء يحسّون بالألوان في وجدانهم ويترجمونها على شكل صورٍ وكلمات .

أما اللون الأسود فكان له نصيب في شعر السخرية كذلك حيث سخر الشعراء من السّود ، ونجد مثالاً على ذلك في قول البهاء زهير : [(4)]

وأسود ما فيه من الخير خُصْلَةٌ   له زفرةٌ من شَرّه وشواظُ

وقوله : [(5)]

وَأسوَدُ شَيخٍ في الثمانينَ سِنُّهُ   غَدا وَجهُهُ مِن أبيَضِ الشَيبِ أبلَقا

---

(1) ابن سعيد ، **المغرب في حلى المغرب** ، 309/1.
(2) الصفدي ، **المختار من شعر ابن دانيال** ، 246.
(3) نفسه ، 228.
(4) البهاء ، زهير ، **ديوانه** ، 191.
(5) نفسه ، 235.

وفي البيتين نرى كيف أن الشاعرِ قد جعل هذا اللون في الصدارة ، حيث ابتدأ أبياتــه بذكر هذه الصفة في مهجوّه لمعرفته أنها بهذه الطريقة ستكون ألصق في أذهاننــا ، وبالتــالي سيكون الربط قوياً بين السخرية والهجاء وبين سواد مهجوه .

ويصف الجزّار جسده بالمُزرّق لشدة البرد ويتخيله سنجاباً بقوله : (1)

كُلَّمـا ازْرَقّ لـونُ جِسمي مـن الــ ـــبردِ تخّيلـــتُ أنَّـــه سِـــنْجَابُ

وقد يعمد الشاعرِ إلى ذكر أكثر من لونٍ في بيته ، وهذا ما فعله الشاب الظريف فـــي حديثه عن الحشيشة وتأثيرها على شاربها ، حيث يقول الشاب الظريف : (2)

مَـا لِلْحَشيـشَةِ فَـضْلٌ عِنْـدَ آكِلِهَـا لَكِنَّــهُ غَيْـرُ مَـصْرُوفٍ إلـى رَشَـدِهْ
صَـفْرَاءُ فـي وَجْهِـهِ خَـضْرَاءُ فـي فَمِـــــــــــــــــهِ حَمْرَاءُ في عَيْنِهِ سَوْدَاءُ في كَبدِهْ

وإذا كان الشاب الظريف قد عمد إلى ذكر الألوان بأسمائها ، فإنَّ ابن دانيال اختــصر الأمر بوصف ثوبه بريش الهدهد الذي يحتوي على كل الألوان ، يقول : (3)

هــذا ولـــي ثــوبٌ تَــراهُ مُرَقَعــاً مـنْ كُلِّ لَـونٍ مثـل ريـشِ الهُدْهـدِ

2- الصّورة السَّمعية :

وهي من الصور الحسية التي ترتد إلى حاسة السّمع ، حيث تكون انعكاساً لمـــا ســـبقه الشاعر فأثّر به ، سواء كان هذا التأثر سلبياً أم إيجابياً ، ومن خلال هذا التأثر والانفعال يقـــوم بترجمة الصوت إلى صور حسّية .

---

(1) ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، 293/13.

(2) الشاب الظريف ، **ديوانه** ، 144-145.

(3) حمادة ، إبراهيم ، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال** ، 167.

ونلمح أصداء هذه الصورة في الشعر الساخر الذي نُظِم في المغنين أو العازفين المنكرة أصواتهم وألحانهم ، ومن ذلك قول صفي الدين الحلي في مغنٍ صوته قبيح : [1]

غنّي بصَوتٍ مِثلِ سَوطِ عَذابِ وَبَدا بوَجهٍ مِثلِ ظهرِ غُرابِ

هذه هي صورة المغني التي استقرت في ذهن الشاعِر من خلال حسّه الفني وأذنه الموسيقية التي لم تألف هذا الصوت فصورته صورةٌ انتقل فيها الشاعِر من الإحساس السمعي إلى الجسدي حيث جعل الصوت سوط عذاب .

أما محمد بن علي الواسطي فيصور لنا عزف عوادٍ وزامرٍ هَزا سمعه وأزعجاه فقال فيهما : [2]

شبَّهت ذا العواد والزامر إذ ضاقت علينا بهما المناهج

بعقربٍ يضرب وهو ساكت وأربد ينفخ وهو خارج

3- الصّورة الشَّمية :

وهي صورة تُدْرَك عن طريق حاسَّة الشم ، ومن خلالها ندرك الفوارق بين الروائح ، وقد ركّز شعراء السُّخرية على الروائح الكريهة وجعلوها في بعض الأحيان قوام سخريتهم .

ونلمح هذه الصورة في قول الجزّار : [3]

أذَابَتْ كِلى الشيخ تلك العجوز وأرْدتْه أنفاسها المُرْديَّهْ

---

(1) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 523.

(2) العسقلاني ، ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، 54/4.

(3) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 292/4.

حيث يجعل اللبنة الأساسية في بناء سَخريته من رائحة أنفاس زوجة أبيه القبيحة التـــي كانت سلاحاً قتلت فيه زوجها .

ومنها ما نراه في سخرية ابن دانيال من رجلٍ بخيلٍ بقوله : [1]

تباخَلْتَ حتّى صِرْتَ أصفَرَ مُنْتَنـاً فكنــتَ جـديراً أنْ تُلَقّــبَ بــالخرا

وله أيضاً : [2]

إذا مـا ابتـداني بالحـديثِ حَـسِبْتُهُ تَـسَوَّكَ مـن فَـرطِ النتّونـةِ بـالخرا

يعطينا الشاعر في هذا البيت صورة شمية علقت في ذهنه ولشدة ما فيها من ســخرية وتفصيل للرائحة نستشعر أنها توَغَّلت في حاسة شمّنا وكأننا نقف مع الشاعر نــشتم مــا يــشم ونشعر ما يشعر به .

4- الصّورة الحركية :

وتتمثل فيما يكوّنه الشاعر من وصفٍ للحركات وإخراجها في لوحــة فنّيــة متعــددة الأبعاد ، نشعر من خلالها بالنبض والحيوية والحياة في هذه الصور وكأننا نعيشها .

وقد استفاد الشعراء من هذه الصّور وسَخّروها في سبيل توضيح موضع السُّخرية التي هدفوا إليها .

ومن الأمثلة عليها ما قاله الحلي في وصف أرض الغور حيث أتى بأكثر من صــورة حركية ونقلها إلينا في صورة ساخرة بقوله : [3]

لا جــادَ هَطّــالُ الــسَحائِبِ بُقعَــةً بـالغَور أضحَت وَهـيَ شَرٌّ بقاعِهِ
أرضٌ تَـضاعَفَ حَرُّهـا وَبَعوضُـها فــي مَرجِهـا لَمّـا حَلَلـتُ بقاعِـهِ
وَخَـلا الـذُبابُ بهـا فَلَـيسَ ببـارحٍ غَــرداً يَحُــكُّ ذِراعَــهُ بِذِراعِــهِ

---

(1) الصفدي ، المختار من شعر ابن دانيال ، 246.

(2) نفسه ، 175.

(3) الحلي ، صفي الدين ، ديوانه ، 528.

ونرى هذه الصورة الحركية في قول ابن الوردي : [1]

حمَّـــــامُكُمْ قيمُــــــهُ شــــــاطرُ   هربْــــتُ منـــهُ وأنـــا صـــارخُ
قـــدْ ســـلخَتْ جـــسمي أظفـــارُهُ   يـــا قـــومُ هـذا الأسـودُ الـسالخُ

مشهدٌ وليست مجرد كلماتٍ في هذين البيتين الشعريين ، صور حركية نابضة بالحياة ، حيث صوّر لنا الشاعِر مشهد هروبه من الحمام في حالة ذعرٍ صارخاً من هـــذا القـــيم علـــى الحمام الذي سلخت أظافره جسم الشاعر .

وخير مثالٍ على الصور الحركية قول الجزار في هجاء نجيل : [2]

طالَمَــا كُنــت قبلهـا تَحفـظُ الْخُــبْ   زَ ولكـــن بالبخـــلِ فـــي الـــصندوق
ليــتَ شــعري مــاذا تقــولُ إذا مــا   رُمْتَ شتمي ، قُلْ لـي : بأيّ طريـق
عَلِــمَ الله مَـــا مَـــضيتُ رَسُـــولاً   قـــطُّ مـــن عنـــد ابنتـــي لِعَـــشيقي
لا ولاَ جئـــت بالرّجـــال إلـــى بيتـــي وكاســـرت عـــنهم فـــي الـــسّوق

وكأننا أمام مشهد مسرحي يتألف من عدة حلقات ، في الحلقـــة الأولـــى يـــصور لنـــا الشاعِر حفظ مهجوّه للخبز في الصندوق ، فتتراءى أمامنا صورة هذا البخيل الخائف علـــى أن يُنال خبزه ، فيبادر إلى حفظه وكأنه كنز ثمين .

وفي الحلقة الثانية يرسم لنا مشهداً تمثيلياً مُتمثلاً في سَعي مهجوّه بين أبنته وعـــشيقها والمضي رسولاً بينهما .

أما في الحلقة الثالثة فيصوّر لنا الشاعِر شذوذ مهجوه الذي يأتي بالرّجال إلى بيته .

سلسلة حلقات مكتملة في هجاء هذا البخيل والسّخرية منه بتوظيف الـــصور الحركيـــة التي خلقت لنا هذه المسرحية الساخرة .

5- الصّورة الإيحائية :

---

(1) ابن الوردي ، **ديوانه** ، 309.

(2) الكتبي ، ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 281/4.

وهي تعبيرٌ عن المطلق بالمحدد ، حيث تشير إلى المعاني المجردة فتُجسّمها [1] وقد أولع شعراء السخرية بتجسيم وتشخيص المحسوسات المادية في سبيل تدعيم سخريتهم ومن ذلك قول الوراق : [2]

هـذا وجُـوختي الزّرقـاءُ تَحْـسَبها — مـن نَـسْج داود فـي سَرْدٍ وإتْقـانِ
قلَبْتُهـا فغَـدت إذ ذاك قائلـةً : — سـبحانَ ربّـي بَلَـا قلبـي وأبلانـي

رسم لنا الشاعرِ في هذين البيتين صورة لجوخته التي جعلها من البشر تشاركه همومه وفقره ، فبنى معها حواراً لطيفاً جعلها من خلاله تبيّن لنا مدى فقر وعوز صاحبها .

أما صفي الدين الحلي فيبني حواره مع رغيف مهجوّه البخيل ، ومن خلال انطاقه له يبيّن لنا مدى بخل صاحبه ، يقول : [3]

لَو تَراني مِن فَوقِ طودٍ مِنَ الجو — ع أُنـاجي رَغيـفَ نَجـلِ سِـنانِ
كُلَّمـا قُمـتُ قـائِلاً : أرنـي وَجـ — ـهَكَ نـادى وَعِزَّتـي لَـن تَرانـي

ويجري البوصيري حواراً مع بغلةٍ لشيخٍ ، تشكو فيه من تباريح بخل صاحبها ، وهو حوار ليطف ظريفٌ ، حيث يقول : [4]

قلتُ : مـا تَكْرَهِينَ فيـه؟ فقالت : — أيُّ بُخْـلٍ منـه وأيّ قتَـارَهْ
أنـا فـي البيْـتِ أشْـتَهِي كَـفَّ تِـبْنٍ — وَمِـنَ الفُـرْطِ أشْـتَهِي نُـوَّارَهْ

من خلال ما سبق نرى كيف جاء الشعراء بمعانيهم بطريقةٍ لطيفة من خلال تجسيم المواد وغيرها وتصويرها بصور إيحائية .

---

(1) ينظر : عساف ، ياسين ، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس ، 118.
(2) الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** ، 265/1.
(3) الحلي ، صفي الدين ، **ديوانه** ، 536.
(4) البوصيري ، **ديوانه** ، 99.

الخاتمة :

الحمد لله الذي زيّن البشر بنعمة العقل ، ومنَّ عليهم بالعطاء ، وكان خيرَ مُعينٍ لهم على قضاءِ أمورهم ، وبعد ،

فقد تمَّ بحمد الله إنهاء هذه الدارسة وفحواها السّخرية في الشعر في العصر المملوكي الأول ، وأهمّ النتائج التي تَمّ التّوصل إليها في هذه الدراسة ما يلي :

- ارتبطت السّخرية في العصر المملوكي بالمجتمع ارتباطاً قوياً ، حيث كان الشعراء يستمدون صورهم السّاخرة من واقع مجتمعهم ومن مجريات أحداثه ، مضيفين إليه الكثير من روحهم الفكهة الضاحكة .
- الأسباب التي دفعت الشعراء إلى السّخرية كثيرة ، منها ما جاء في سبيل التلهي والإضحاك فقط ، ومنها ما هو أهم وهو المدفوع من البيئة الاجتماعية والسّياسية ، ومنها ما كان لأغراضٍ دينية عقائدية .
- كانت السّخرية سلاح كثيرٍ من الشعراء في مقاومة الظلم والجور ، لذلك فإنها تعدُّ مظهراً من مظاهرِ المقاومة الشعبية والتّمرّد على الظلم .
- اتخذ الشعراء السخرية وسيلة من وسائل الشكاية ومظهراً من مظاهرها ، حيث كانوا من خلالها يصوّرون فقرهم وضيق حالهم وجعلوا من خلالها يلفتون الأنظار إلى حالهم و أوضاعهم الاجتماعية والمادّية .
- عَمَد الشعراء في سخريتهم إلى المحسنات البديعية وأهمها التورية والتوجيه ، وسخّروها في سبيلِ السّخرية والاضحاك .

- وَظَّف الشُّعراء الموروثات وتواصلوا بالتراث في أشعارهم ، حيث كان للموروث الديني نصيبٌ كبير من حيث الاقتباس وذكر أسماء السور القرآنية أو ذكر القصص القرآني في أشعارهم والحديث عن بعض معجزات الأنبياء ، وجعلوها طريقاً إلى السُّخرية بإنشاءِ أضدادٍ لها عند مهجوّيهم أو التورية من خلالها لبيان ما كان عند مهجويهم من نقائض ، أما الموروث الأدبي فتمثل بالتّضمين ، أو التوجيه بأعلام اللُّغة وعلمائها .
- الأسلوب العام لشعر السُّخرية كان مُتّسماً بالسهولة والوضوح والابتعاد عن الألفاظ الغريبة النَابية المعقّدة .
- عمد الشعراء في سخريتهم إلى التجريح والإهانة في معظم الأحيان وإن جاءت في أحيانٍ أخرى على شكل نكاتٍ وطرائف لطيفة .

أما التوصيات التي يمكن طرحها فهي :

1) دراسة وتحقيق بعض المخطوطات مثل مقتطفات الجزّار ومقتطفات الوراق .
2) تحقيق بعض الدواوين لشعراء من هذا العصر مثل ديوان شهاب الدين الغزازي وديوان إبراهيم المعمار.
3) دراسة موضوع السخرية في الشعر في عصور أخرى .
4) دراسة موضوع السخرية في النثر الأدبي .

ملحق

التّراجم :

1) **<u>الإسعردي (619 – 656 هـ)</u>**

محمد بن محمد بن عبد العزيز نور الدين الإسعردي ، شاعِر ماجن ظريف ، اتصل بالملك الناصِر ومَدحه بقصائد سُمّيت النّاصريات ، عُمِي قبل موته .

الوافي بالوفيات 188/1 شذرات الذهب 284/5

فوات الوفيات 271/3 معجم المؤلفين 234/11

2) **<u>ابن الأعمى (- 692هـ)</u>**

علي بن محمد بن المبارك ، الأديب كمال الدين بن الأعمى ، كان شيخاً مُقرئاً من بقايا الدولة الناصِرّة ، والده ظهير الدين الضرير النحوي خطيب القدس ، توفي سنة (692هـ) .

الوافي بالوفيات 129/22 شذرات الذهب 421/5

الأعلام 334/4

3) **<u>البهاء زهير (581-656هـ)</u>**

زهير بن محمد بن علي المهلبي العتكي ، بهاء الدين : شاعر رقيق الشعر ، كان من الكتاب ، ولد بمكة ، توفي بمصر ، له ديوان شعر مطبوع .

البداية والنهاية 78/13-79 شذرات الذهب 277/5-278

النجوم الزاهرة 62/7-63

4) **<u>البوصيري (608-696هـ)</u>**

محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي البوصيري ، المصري : شاعر حسن الديباجة مليح المعاني ، له ديوان شعر مطبوع .

الوافي بالوفيات 139/6 الأعلام 139/6

فوات الوفيات 205/2

5) **الجزّار (ت - 679هـ)**

يحيى بن عبد العظيم الجزّار : شاعر ظريف مصري ، عمل في الجزارة عندما رأى كساد سوق الأدب.

النجوم الزاهرة 345/7 شذرات الذهب 364/5

ذيل مرآة الزمان 61/4 المغرب 296/1القسم الخاص بمصر

6) **الحمَّامي (- 712هـ)**

نصير الدين بن أحمد بن علي المناوي الحمّامي ، من شعراء مصر ، كان يستجدي بالشعر ، ولما كسد سوقه صار يكتري الحمامات ، وكان على صلة بالوراق والكحّال ولهم طرف وحكايات وأشعار مُتبادلة .

الدرر الكامنة 166/5 فوات الوفيات 205/4

7) **ابن دقيق العيد.(625-702هـ)**

هو الشيخ تقي الدين، محمد بن علي بن وهب بن مطيع الإمام العلامة شـيخ الإسـلام أبو الفتح بن دقيق العيد المصري، أحد الأعلام وقاضي القضاة.

الوافي بالوفيات 193/4 فوات الوفيات 442/3

الأعلام 283/6

8) **سيف الدين بن المشد (- 656هـ)**

علي بن عمر بن قزل التركماني ، شاعر من أمراء التّركمان ، تقلّـب فـي دواويـن الإنشاء ، توفي بدمشق سنة 656هـ .

فوات الوفيات 51/3 شذرات الذهب 280/5

الوافي بالوفيات 128/12 معجم المؤلفين 159/7

9) **الشاب الظريف (661-688هـ)**

محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني ، شمس الدين ، المعـروف بالـشاب الظريف ، شاعر مترقق ، ولد بالقاهرة وتوفي فيها ، له ديوان شعر مطبوع .

البداية والنهاية 315/3 شذرات الذهب 405/5

معجم المؤلفين 53/10 بروكلمان-تاريخ الأدب العربي 56/5

10) **ابن الصَّائغ (708-776هـ)**

محمد بن عبد الرحمن بن الصَّائغ الحنفي النحوي ، درَّس بجامعـة طولـون ، ولـي قضاء العسكر ، كان فاضِلاً حسن النثر والنظم ، له شرح الألفية والتذكرة النحوية .

الوافي بالوفيات 244/3 الدرر الكامنة 499/3

شذرات الذهب 248/6 النجوم الزاهرة 138/11

11) **صفي الدين الحلي (677-750هـ)**

عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم ، ولد في الحلة ونشأ فيها ، مدح السلطان الناصر قلاوون ، كان شاعر عصره وأشهر شعراء زمانه ، له ديوان شعر مطبوع .

النجوم الزاهرة 238/10 الأعلام 17/4-18

معجم المؤلفين 247/5

12) **الضّفدع (- 756هـ)**

محمد بن يوسف الدّمشقي ، شمس الدين بن الخياط ، يقال له الضفدع ، شاعر مكثر مجيد ، أكثر من مهاجاة ابن نباتة ومعارضته ، توفي وهو عائد من الحج بأرض معان سنة 756هـ .

الدرر الكامنة 300/4 النجوم الزاهرة 320/10

المنهل الصّافي 328/3 البدر الطالع 286/2

13) **ابن الظهير الإربلي (-677هـ)**

محمد بن أحمد بن عمر مجد الدين ، شاعر أديب حنفي المذهب ، تنقل بين العراق والشام ، له ديوان شعر ، توفي بدمشق سنة 677هـ.

الوافي بالوفيات 123/2 شذرات الذهب 359/5

فوات الوفيات 301/1 معجم المؤلفين 302/8

14) **ابن فضل الله العمري (- 799هـ)**

هو أحمد بن يحيى بن فضل الله بن يحيى بن المجلي بن دعجان بـن خلـف ، ولـد بدمشق ، له شعر ونثر ، له كتاب " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " ، توفي في دمـشق بالطاعون سنة 749هـ .

15) **القيراطي (726-781هـ)**

إبراهيم بن عبد الله محمد الطائي : شاعر قاهري ، اتصل بابن نباتـه ، ذهـب إلـى الحجاز وجاور في مكة ، له ديوان (مطلع النيّرين) .

النجوم الزاهرة 196/11	الدرر الكامنة 33/1
شذرات الذهب 296/6	معجم المؤلفين 54/1

16) **الكحّال (-710هـ)**

محمد بن دانيال الخزاعي الموصلي شمس الدين ، هاجر لمـصر وامـتهن التكحيـل فسُمّي بالحكيم ، عمل في التمثيل (خيال الظل) شعره رقيق فيه مجون وخلاعة ، توفي سـنة 710 هـ .

الوافي بالوفيات 51/3	شذرات الذهب 27/6
الدرر الكامنة 55/4	النجوم الزاهرة 215/9

17) **ابن مطروح (592-649هـ)**

يحيى بن عيسى بن إبراهيم جمال الدين بن مطروح ، شاعر أديب مصري ، توفي بالقاهرة ، خدم الملك الصالح أيوب ، ولي نظر الخزانة في مصر ، مات بالقاهرة ، وشعره قصائد طوال ومقطعات تدور على المدح والغزل والزهد.

الأعلام 192/8 ذيل مرآة الزمان 197/1

معجم المؤلفين 217/13

18) **المعمار (- 749هـ)**

إبراهيم الحائك وقيل المعمار ، وقيل الحجار ، عامّي ، إلا أنه مطبوع ، اشتهر بالأزجال والبلاليق ، توفي سنة 749هـ ، له ديوان شعر ، توفي سنة 749هـ .

فوات الوفيات 50/1 المنهل الصافي 188/1

الوافي بالوفيات 173/6 الدرر الكامنة 50/1

19) **ابن نباته (686-765هـ)**

محمد بن محمد بن الحسن الحذامي المصري ، أبو بكر جمال الدين بن نباتة ، شاعر عصره ، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب ، مولده ووفاته في القاهرة ، له قصائد طوال ومقطعات ، له ديوان شعر مطبوع .

الأعلام 38/7 عمر موسى باشا : كتاب ابن نباتة ، أمير شعراء المشقر

عمر فروخ – تاريخ الأدب العربي 94/3-800

20) **ابن النقيب (- 687هـ)**

الحسن بن شاور بن الحسن بن النقيب الكناني ناصر الدين ، شاعر من أفاضل أهل مصر ، له ديوان (مقاطيع) وكتاب (منازل الأحباب) ، كان من رجال الجهاد المرابطين في الثغور ، توفي 687هـ .

فوات الوفيات 118/1 الأعلام 193/2

النجوم الزاهرة 376/7 المغرب 258/1 القسم الخاص بمصر

21) **الوداعي (640-716هـ)**

علي بن المظفر بن إبراهيم الوداعي الدمشقي ، مقرء مُحدّث شاعر أديب ، له التذكرة الكندية وديوان شعر ، توفي بدمشق سنة 716هـ .

شذرات الذهب 39/6 النجوم الزاهرة 235/9

البدر الطالع 498/1 معجم المؤلفين 243/7

22) **الوراق (615-956هـ)**

عمر بن محمد بن سراج الدين ، شاعر مصر في عصره ، صحيح المعاني كثير التكلف ، في شعره هزل ومجون ، توفي بالقاهرة سنة 695هـ .

فوات الوفيات 140/3 شذرات الذهب 431/5

النجوم الزاهرة 83/8 معجم المؤلفين 309/7

23) **ابن الوردي (691-749هـ)**

عمر بن مظفر بن عمر أبو حفص أديب مؤرخ ، ولد في معرّة النعمان ، ولي القضاء بمنبج ، له كتاب تاريخ ابن الوردي ، ديوانه مطبوع ، توفي بدمشق سنة 749هـ .

النجوم الزاهرة 240/10 البدر الطالع 514/1

معجم المؤلفين 3/8 شذرات الذهب 161/6

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر المخطوطة :

المعمار، إبراهيم. (- 749هـ). **الديوان**. إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية رقم 1118.

المصادر المطبوعة :

- القرآن الكريم .
- الإبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد الفتح. (-850هـ). **المستطرف في كلّ فن مستظرف**. تحقيق محمد مهنا، مكتبة الإيمان، (د.ط)، المنصورة، (د.ت).
- أدونيس. **زمن الشعر**. دار العودة، ط(2)، بيروت، 1978م.
- الإربلي، ابن الظهير. (602-677هـ). **الديوان**. جمع وتحقيق ودراسة ناظم رشيد، كلية الآداب، (د.ط)، الموصل، 1988م.
- إسماعيل، عز الدين. **الأدب وفنونه**. مطبعة الاعتماد، (د.ط)، القاهرة، 1995م.
- ابن أبي الإصبع. (585-654هـ). **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**. تقديم وتحقيق حنفي محمد شرف، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث، (د.ط)، القاهرة، 1995م.
- أمين، أحمد. **النقد الأدبي**، دار الكتاب العربي، ط(4)، بيروت، 1967م.
- أمين، بكري الشيخ. **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني**. دار العلم للملايين، ط(4)، بيروت، 1986م.

- أمين، فوزي محمد. **أدب العصر المملوكي الأول**. ملامـــح المجتمـــع المـــصري. دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، الإسكندرية ، 2003م.

- الأندلسي، علي بن سعيد. (ت 685هـــ). **المغرب في حلي المغرب (القـــسم الخـــاص بمصر)**. تحقيق محمد حسن شوقي ضيف، وسيدة كاشف، مطبعة فـــؤاد الأول، (د.ط)، ج1، مصر، 1953م.

- أنيس، إبراهيم، وآخرون. **المعجم الوسيط**. مجمع اللغة العربية، 1972م.

- الأيوبي، ياسين:

* **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي**. جروس برس، طرابلس، لبنان، 1995م.

* **صفي الدين الحلي**. دار الكتاب اللبناني (د.ط)، بيروت، 1971م.

- باشا، عمر موسى:

* **أدب الدول المتتابعة**. دار الفكر الحديث، بيروت، 1967م.

* **ابن نباتة المصري أمير شعراء المشرق**. دار المعارف، ط(2)، القاهرة، 1972م.

- بدوي، أحمد أحمد. **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**. مطبعة النهضة، مصر، (د.ت).

- بردي، ابن تغري. جمال الدين يوسف الأتابكي. (ت 874هـــ):

* **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**. تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المـــصرية العاملة للكتاب، (د.ط)، مصر، 1984م.

*<u>**النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**</u>. مطبعة دار الكتب المـــصرية ، مـــصر، 1956م.

- بهاء الدين، زهير. (ت 656هــ). <u>**الديوان**</u>. تحقيق محمد طاهر الجبلاوي ومحمد أبـــو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1977م.
- البوصيري، محمد بن سعيد، (608-696هـــــ). <u>**الـــديوان**</u>، تحقيـــق عبـــد الـــرحمن مصطاوي، دار المعرفة، بيروت، 2007م.
- بروكلمان، كارل. <u>**تاريخ الأدب العربي**</u>. ترجمة : محمـــود فهمـــي حجـــازي، الهيئـــة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) (د.م)، 1995م.
- جرير. <u>**الديوان**</u>. دار صادر، بيروت، 1991م.
- حجازي، أحمد توفيق. <u>**موسوعة الأمثال الفلـــسطينية**</u>. دار أســـامة، عمـــان، الأردن، 2003م.
- الحسين، قصي. <u>**الأدب العربي في العصرين المملوكي والعثماني**</u>. المؤسسة الحديثـــة للكتاب، (د.ط)، طرابلس، 2006م.
- الحطيئة. <u>**الديوان**</u>. تحقيق حمدو طماس-دار المعرفة. ط(2)، بيروت، 2005م.
- الحلي، صفي الدين أبو الفضل عبد العزيز بن ســـرايا الطـــائي. (ت – 750هـــــ). <u>**الديوان**</u>. شرحه وضبط نصوصه وقدم له عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بـــن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1997م.

- حمادة، إبراهيم. **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال**. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، (د.ط)، مصر، 1961م.

- الحموي، ابن حجة، تقي الدين أبو بكر علي (ت 837هـ). **خزانة الأدب وغاية الأرب**. مكتبة لبنان، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت – 626هـ). **معجم البلدان**. دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1968م.

- الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت- 900هـ). **الروض المعطار في خبر الأقطار**. تحقيق إحسان عباس، دار السراج، ط(3)، بيروت، 1975م.

- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (ت- 463هـ). **العمدة في صناعة الشعر ونقده**. تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000م.

- الركابي، جودت. **الأدب من الانحدار إلى الازدهار**. دار الفكر، ط(2)، بيروت، 1996م.

- الزركلي، خير الدين. **الأعلام**. دار العلم للملايين، ط4، بيروت، 1979م.

- ابن أبي سلمى، زهير. **الديوان**. دار صادر، بيروت، (د.ت).

- سكاربيت، روبير. **الفكاهة**. ترجمة هدى جمال، دار المستقبل العربي، (د.ط)، القاهرة، 1992م.

- سلام، محمد زغلول. **الأدب في العصر المملوكي**. دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1972م.

- سليم، محمد ابراهيم. **البهاء زهير، شاعر مصر في العصر الايــوبي**. دار الطلائــع، (د.ط)، مصر، 1992م.

- سليم، محمود رزق. **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**. مكتبــة الآداب، ط(2)، (د.م)، 1992م.

- السمرة، محمود. **في النقد الأدبي**. الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1974م.

- الشاب الظريف، شمس الدين محمد بن عفيف التلمساني (661-688هــ). **الــديوان**. قدم له وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، دار الكتاب العربي، بيــروت، 1995م.

- الشايب، أحمد. **أصول النقد الأدبي**. مكتبة النهضة المصرية، ط(2)، مصر، 1973م.

- أبو شريفة، عبد القادر. **مدخل إلى تحليل النص الأدبي**. دار الفكــر، عمــان، الأردن، 1990م.

- الشناوي، علي غريب محمد. **الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي**. مكتبــة الآداب، القاهرة، 2003م.

- الشوكاني، محمد بن علي (ت – 1250هــ). **البدر الطالع بمحاسن من بعــد القــرن السابع**. دار المعارف، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (ت – 764هــ):

 * **الغيث السمجم في شرح لامية العجم**. دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م.

* **فض الختام عن التورية والاستخدام**. دراسة وتحقيــق المحمــدي عبــد العزيــز الحناوي، القاهرة، 1979م.

* **المختار من شعر ابن دانيال**. تحقيق محمد نايف الــدليمي، مكتبــة بــسام، (د.ط)، الموصل، 1979م.

* **نصرة الثائر على المثل السائر**. تحقيق محمد علي سلطاني، مجمع اللغة العربيــة، دمشق، 1972م.

* **الوافي بالوفيات**. تحقيق مجموعة دار فراتز شتاينر بغــسبادن، المعهــد الألمــاني للدراسات الشرقية، بيروت، 1980م.

- ضيف، شوقي:

* **تاريخ الأدب العربي، عصر الــدول والإمــارات**. مــصر، دار المعــارف، ط(2)، القاهرة، 1990م.

* **في الشعر والفكاهة في مصر**. دار المعارف (د.ط)، القاهرة، 1999م.

* **في النقد الأدبي**. دار المعارف، ط(7)، القاهرة، 1962م.

- طبانة، بدوي. **البيان العربي**. مكتبة الأنجلو المصرية، ط(3)، مصر، 1962م.

- ابن ظهيرة. **الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة**. تحقيــق مــصطفى الــسقا وكامل المهندس، دار الكتب المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1969م.

- العاكوب، عيسى وآخرون. **الكافي في علوم البلاغة العربية. البيان والبــديع**. (د.ن)، القاهرة، 1993م.

- العباسي، عبد الرحيم. **معاهد التنصيص على شواهد التخليص**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، (د.ط)، القاهرة، 1947م.
- عبد الحميد، شاكر. **رؤية جديدة : الفكاهة والضحك**. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (د.ط)، الكويت، 2003م.
- عبد الرحمن، منصور. **اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري**. مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1977م.
- عبد الله، محمد حسن. **الصورة والبناء الشعري**. دار المعارف، (د.ط)، مصر، (د.ت).
- عتيق، عبد العزيز. **علم المعاني**. دار الآفاق العربية، القاهرة، 2006م.
- عساف، ياسين. **الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس**. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1982م.
- العسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي. (ت – 852هـ). **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثانية**. ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل.(ت – 395هـ). **الصناعتيين- الكتابة والشعر**. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الكتب، (د.ط)، القاهرة، 1971م.

- أبو علي، نبيل خالد. **البوصيري، شاهد على العصر المملوكي**. مكتبة آفاق، ط(2)، غزة، 1998م.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي. (ت – 1089هـ). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. دار الآفاق الجديدة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- العيني، بدر الدين محمود. (ت – 855هـ). **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**. حققه د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، مصر، 1978م.
- الغباري، عوض علي مرسي. **دراسات في آدب مصر الإسلامية**. دار الثقافة العربية، (د.ط)، القاهرة، 2003م.
- فروخ، عمر. **تاريخ الأدب العربي**. دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.
- الفقي، محمد كامل. **الأدب العربي في العصر المملوكي**. دار الموقف العربي، ط(3)، مصر، 1984م.
- القباني، عبد العليم. **من الشعراء أصحاب الحرف**. دار الكتاب العربي، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- القشطيني، خالد. **سجل الفكاهة العربية**. دار الكرمل، (د.ط)، عمان، الأردن، 1993م.
- قليقلة، عبده عبد العزيز. **النقد الأدبي في العصر المملوكي**. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1972م.

- الكتبي، محمد بن شاكر. (ت – 764هـ). **فوات الوفيات**. تحقيق محمد محـي الـدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1951م.
- ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي. (ت – 774هـ). **البداية والنهاية**. وثقه علـي محمـد عوض، دار الكتب العلمية، ط(2). بيروت، 2003م.
- كحالة، عمر رضا. **معجم المؤلفين**. مكتبة المثنى و دار إحياء التراث العربي، ط(2)، بيروت، 2003م.
- ابن كلثوم، عمرو. **الديوان**، صنعه علي أبو زيد، دار سعد الدين، دمشق، 1991م.
- محمد، محمود سالم. **أدب الصناع وأرباب الحرف حتى القرن العاشر الهجـري**. دار الفكر، دمشق، 1993م.
- محمود، شهاب الدين أبو الثناء بن فهد الدمشقي. (ت – 725هـ). **حسن التوسل إلـى صناعة الترسل**. المطبعة الوهبية، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيـب**. تحقيـق يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيـروت، لبنان، 1998م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (ت – 845هـ):

  * **الخطط** (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبع مصر، 1327هـ.

  * **السلوك لمعرفة دول الملوك. صححه ووضع حواشيه**: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958م.

- مندور، محمد. **الأدب وفنونه**. دار نهضة مصر، (د.ط)، القاهرة، 1974م.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم. (ت-711هـ). **لسان العرب**. دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- ابن منقذ، أسامة (ت-584هـ). **البديع في نقد الشعر**. تحقيق أحمد أحمد بدوي وآخرون، مطبعة البابي الحلبي، (د.ط)، مصر، 1960م.
- ابن نباته المصري. (ت-768هـ). **الديوان**. دار إحياء التراث العربي، نشره محمد القلقيلي، بيروت.
- هدارة، مصطفى محمد. **اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري**. دار المعارف، ط(2)، مصر، 1969م.
- الهيب، أحمد فوزي. **الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء**. مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر. (ت-749هـ)

  * **تتمة المختصر في أخبار البشر المسمى تاريخ ابن الوردي**. تحقيق، أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، 1970م.

  * **الديوان**. تحقيق أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت، 1986م.
- الورقي، السعيد. **لغة الشعر العربي، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية**. دار المعرفة، (د.ط)، القاهرة، 2005م.

- اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد. (ت-726هـ). **ذيل مرآة الزمان**. دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، (د.ت).

الرسائل الجامعية :

- السراحنة، سارة حسين. **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً مع جمع شعره وتوثيقه ودراسته**. رسالة ماجستير، جامعة الخليل، الخليل، 2007م.
- الصايغ، هنرييت. **اتجاهات الشعر العربي في القرن السابع الهجري في بلاد الشام**. رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، القاهرة، 1980م.
- عبد الهادي، حسن محمد السراحنة. **دراسة شعر شمس الدين النواجي مع تحقيق ديوانه**. رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، القاهرة، 1980م.
- عيسى، عبد الخالق. **السخرية في الشعر في العصر العباسي**. رسالة دكتوراة، جامعة النجاح، نابلس.
- غريب، علي محمد علي. **شعر ابن فضل الله العمري ، جمع وتوثيق ودراسة**. رسالة ماجستير، جامعة الخليل، الخليل، 2008م.